د. محمد العيد مطمر

2

حامي الصحراء

أحمد بن عبد الرزاق حمودة



العقيد سي الحواس

دار الهدى
عين مليلة — الجزائر

سلسلة رجال صدقوا ..



دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع
المنطقة الصناعية - ص.ب 193 - عين مليلة
هاتف : 98.95.47 (04) تلكس : (94208) هدى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا. ﴾

(سورة الأحزاب : ٢٣)

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى أبناء الشهداء، وأحفادهم،
وإلى كل من ساهم في تحرير وتقدم الجزائر،
أقدم هذه السلسلة المتواضعة.

م. ع. م.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المقدمات

بدأت فكرة كتابة سلسلة «رجال صدقوا» تراودني منذ أمد بعيد، وكنت أترقب كل فرصة ومناسبة لاستثمارها في هذا العمل، لاعتقادي أنها – مجرد – رصاصة واحدة في حزام مجاهدينا الأبطال.

هذه السلسلة، محاولة جريئة للوقوف على مآثر كوكبة من أبطالنا البواسل، الذين قاوموا الاستعمار الفرنسي، بكل شجاعة وثبات، وقدّموا ما يمكن تقديمه، ودفعوا أرواحهم الزكية الطاهرة، قربانا لتحيا الجزائر، حرة مستقلة.

إن هذه الصفحات، تحمل الكثير من غبار الحرب، وتمثل في مجموعها، وثائق يد لمست، وعين رأت، وأذن سمعت، وكاتبها لا يهدف من وراء ذلك، إلاّ التذكير بأمجادنا الخالدة، وتوسيع دائرة المعرفة بتاريخنا التليد، وقلبه لا يهفو الى الحصول على شهادة ثناء، واعتراف محتومة، ولا يحلم بتصفيق الكتاب له، ورميه بالورود، كما يقولون، كما لا يغضبه، إن وقع تحت منظار النقاد الفاحص الكاشف، لأنه يعترف، بأن لا أحد يملك الحقيقة كاملة تامة.

وسيحس القارىء الكريم، بأن هذه الصفحات تنساب في خط واحد، يجمعها ويبلور محتواها، إذ سعيت إلى إخراجها في إطار موحد، لتبدو موضوعا متكاملا، يتصلُ بالثورة على محورين، هما:

– الأول: دور البطل في النضال والكفاح.

– الثاني: ما يتصل بذلك الدور ميدانيا، وأعني عطاءاته في مستوى وأداء جبهة وجيش التحرير الوطني، أمام الحكومات والقوات الفرنسية، بعدتها وعتادها، والمدعمة بأوروبا – الحلف الأطلسي.

ويبقى لنا أن نقول، أننا نظل نتوق الى قراءة سير وقصص أبطال ثورتنا الخالدة، لنقف على حقيقة تضحيات أكثر من مليون ونصف مليون شهيد، ولنا أن ندرك، أن ما كتب ويكتب من أدبيات وتنظيرات ثورتنا التحريرية، سيشكل انعطافا كبيرا في تاريخنا الثوري، لأن ثورة غرة نوفمبر 54 نفسها، انعطافة عظمى في النضال العالمي قديمه ومعاصره.

وأملي أن أكون في مستوى إظهار، تلك الصلة الوثيقة، بين الطرفين في هذا الكتاب لتغدو وثيقة من وثائق ثورتنا الكبرى، التي تعبر عن صمود وتحدي شعبنا العظيم، وجيشنا المقدام، للاستعمار الغاشم في الجزائر.

وفي النهاية، لا يسعني إلا أن أعبر عن شكري وتقديري للجهود القيمة التي بذلها الأستاذ نوار لمباركية في مراجعة الكتاب وإثارة الملاحظات البناءة التي انتبهت إليها، وأخذت بها، وكان لها الفضل الكبير في تطوير الكتاب نحو الأحسن والأفضل، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل المساهمين في طبع الكتاب واخراجه بدار الهدى، وأخص بالذكر: عبد العزيز زلماطي، عمار بولزرق، رابح جوبة ومحمد أولعمارة.

والله هو الموفق وبه نستعين

د. محمد العيد مطمر
باتنة • بوعقال الثالث
29 ماي 1990 م

أحمد بن عبد الرزاق حمودة
(1923 - 1959)

بداية الرحلة

في جبال الأوراس الشامخة، ترقد القرى العديدة، وقد جُبِلَ الناس في هذه الأصقاع على الأنفة والعزة، والهامات المرفوعة كقمم الجبال، والقلوب الثابتة، التي لا تهزها الريح العاصفة، والأفكار الصافية، كالسماء، حين تشرق عليها الشمس.

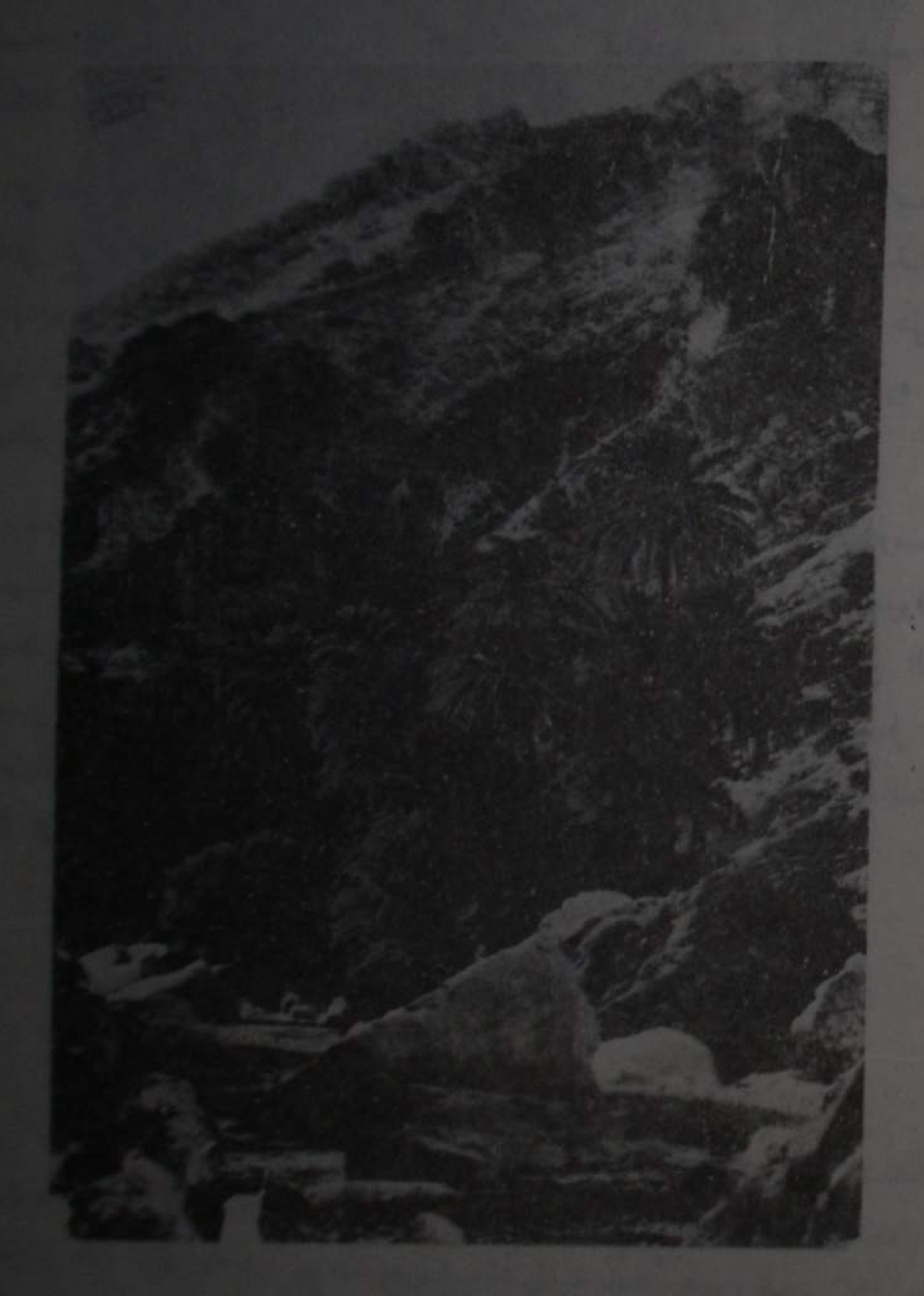
ومن تلك القرى الأوراسية، قرية «مشونش»[1] الجبلية، التي عاشت فيها أسرة عالية القدر، موفورة الكرامة، تعود بنسبها الى قبيلة أولا سيدي شعبان. وهي بطن من بطون قبيلة بني بوسليمان بـ«تكوت» وكان من أبناء هذه الأسرة، الشيخ عبد الرزاق بن محمد أمقران بن إبراهيم بن حمودة.

في عام 1923 ولد للشيخ الوقور، ابنٌ سماه على بركة الله أحمد، (وخير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد)، فاحتفلت به الأسرة، التي بلغت المنزلة العليا في نفوس سكان مشونش «بني يحمد» فقد كان الوالد معلما وإماما لزاوية[2] العائلة، التي زاول الطفل الناشىء بها

(1) مشونش: تقع شمال شرقي مدينة بسكرة بحوالي (30) كلم. وتتكون من عدة قرى، وهي: البلبدة، القرارة، الرمل، السوق، قرن عباس، مريشي، ميوري، أزقاغث، وينساب الوادي الأبيض بين حنايا نخيلها، ويحتضنها الجبلان العتيدان «كوش» و«هيمطراس» الشاهدان على الماضي والحاضر والمستقبل.

(2) زاوية أولاد سيدي حمودة: كانت تابعة للزاوية الرحمانية، التي أسسها سيدي الصادق بن الحاج بـ«تيمرماسين» سيدي المسعودي، وتولاها أولاده من بعده، ابراهيم، الطاهر، لزهر، ولها أتباع ومريدين في عموم الأوراس والزيبان والصحراء.

تعليمه الأول، إذ قرأ القرآن الكريم منذ صغره، وحفظ الكثير من آياته وسوره، فتربى تربية دينية، صقلت ذكاءه، ووسعت من آفاق طموحاته.



الوادي.. والنخيل.. والجبل

وتوالت الشهور والأعوام، والطفل الفطن أحمد يكبر، ويترعرع في ظل أبويه، اللّذين يحنوان عليه، ويَغْدِقانه بعطفهما، فلم يبخلا عنه بعطفهما، لتلبية كل ما تتمناه نفسه، وما تتوق إليه، وكيف لا يكون له ما أراد، وهو ابن رجل شهم، مرموق المكانة بين أفراد عشيرته، وعظيم بين ذويه وقومه.

في عام 1937م توفي الأب المعلم والمرشد الأول، وها هو ذا أحمد، الشاب اليافع، الذي بلغ الرابعة عشر ربيعا، يفجع بوفاة والده، بذلك كُتب له،أن يواجه الحياة بنفسه وحيدا، معتمدا على ذخيرته التي تشرّبها من مناهل إسلامية يانعة، وتربى على هداها تربية قويمة صالحة، جعلته محبوبا لدى سكان القرية، إلى درجة أن أسموه «الشيخ الصغير» تقديرا وحبّا، ولربما مداعبة.

وجد الشاب أحمد بن عبد الرزاق، نفسه أمام مهام كثيرة، ومسؤوليات جسيمة،وما لبث أن اكتمل نضجه، وتخطى مرحلة الشباب الأولى، المعروفة بعدم الاستقرار،عند أترابه وأقرانه، أما هو، فكان وديعا، رزينا، ويملك من الشجاعة وحسن التدخل – في انتقاد أعمال «قايد» مشونش وأعوانه وعملائه، مما جعل السلطة المتسلطة، لا تقوى على تحمل انتقاداته اللاذعة والصميمية،للوضع المزري،الذي طَبع حياة الأهالي.



ألتقطت الصورة في زاوية سيدي حمودة، ويبدو من اليمين إلى اليسار: شعبان نهل أحمد بن عبد الرزاق، عبد الله بن عمار شاهدي، فاطمة عبدلي «صحفية» بجريدة الأوراس الأسبوعية وسيد أحمد غزالي أمام ضريح الشيخ عبد الرزاق، أثناء زيارته إلى مشونش في نوفمبر 1991 م.

سليل البطولات

كما أن النهر، لا ينبع فجأة من جوف الأرض، ولا يتكون دفعة واحدة من ماء السحب المنهمر، وإنما يتشكل ويتجمع قطرة بعد أخرى، فكذلك الأمر بالنسبة لأحمد ابن عبد الرزاق، فجذور أصله، تضرب في أعماق تاريخنا العريق، ومن أجل توضيح ذلك، فإننا سنلقي نظرة خاطفة على صفحات من تاريخنا الثوري، المتأخر نسبيا.

فبعد استيلاء قوات الغزو الفرنسي على قسنطينة في عام 1837م كان لزاما احتلال وإخضاع الجنوب الشرقي من عمالة قسنطينة، ومن ضمنها الأوراس[1] الذي اعتصم به أحمد باي[2]، وخليفة الأمير عبد القادر، محمد الصغير بن عبد الرحمن بن أحمد بلحاج، ومن تبعهما من المقاومين للاحتلال الفرنسي.

وإنه لمن أحكام الضرورة الفعلي، أن يتم هذا التنسيق الفعلي أو الإرادي، بين رجلين متنافسين على السلطة الشرعية والقيادية، ومن أحكامها أيضا أن يلتجىء كل منهما إلى قلب الأوراس، إذ بينما كان أحمد باي مقيما في عام 1844م بقرية منعة[3] عند عائلة ابن عباس، صاحبة الزاوية القادرية، كان محمد الصغير خليفة الأمير عبد القادر، نازلا بقرية نارة[4] المقابلة لها، وسط عائلة ابن حبارة، والتي اتخذ منها محطة لذخائره، ومركزا لمؤونته.

---

1) تطلق كلمة الأوراس جغرافيا، على المنطقة المحصورة بين باتنة وخنشلة شمالا وخنشلة وزريبة الوادي شرقا، وزريبة الوادي وبسكرة جنوبا، وباتنة غربا، بحيث تكوّن شكلا رباعيا بطول مائة كيلومتر للضلع الواحد.

2) أحمد باي: آخر بايات قسنطينة كان عهده من 1826 - 1837.

3) قرية منعة: تقع على بعد (80) كلم. إلى الجنوب الشرقي من مدينة باتنة.

4) قرية نارة: تقع على بعد (05) كلم. عن الطريق العام: باتنة – منعة، ويحتضنها الجبل الأزرق. تتكون من ثلاث قرى: قرية اولاد سيدي عبد الله، قرية نارة، قرية زالابوش.

وقد أدرك الفرنسيون، معنى وجود القائدين في منطقة، عرفت كمهد حاضن للثورات عبر التاريخ، فقرروا دخول الأوراس، وتتبّع هذين البطلين بجيش كبير، ضمّ جنرالات وعقداء، وقادة برتب مختلفة، وعلى رأسهم الجنرال بودو (Beaeau) والجنرال لوفاسور (Levasser) والعقيد ماكماهون (Mac-Mahon) والعقيد بوتافوكو (Buttafoco).

وتوجهت القوات الغازية من قسنطينة إلى الجنوب الشرقي[1] بقيادة الدوق دومال[2] (Duc-dumale) وفي طريقها واجهت مقاومة عنيفة من سكان المناطق التي مرت بها، ووصلت الى موقع باتنة[3] في 04 فيفري 1844م، فكوّنت معسكرا لقواتها، كمرحلة أولى، وقد أشرف على تنظيمه العقيد (بوتافوكو)، وواصلت الحملة زحفها جنوبا عبر ممر القنطرة إلى بسكرة، فتم احتلالها في 04 مارس من العام نفسه.

بعد تمركز القوات الفرنسية ببسكرة، وتكوين معسكرها بها، بلغها أن مقاتلي الأوراس، يعدون العدة لمهاجمتها وتحرير المدينة. ففي 15 مارس 1844م، خرجت قوات من الحملة بقيادة (الدوق دومال) متجهة إلى بوابة الأوراس الجنوبية، قرية مشونش، التي تجمع فيها المجاهدون من مختلف قبائل[4] منطقة آريس، بقيادة محمد الصغير، خليفة الأمير عبد القادر بالأوراس، ومشاركة سيدي إبراهيم من سيدي

---

1) بعد احتلال قسنطينة، استمرت عاصمة للشرق الجزائري.

2) الدوق دومال: ابن الملك لويس فيليب، وقد كانت فترة حكمه لفرنسا من 1830 - 1848.
للمزيد من التفاصيل انظر محاضرتنا، الاحتلال الفرنسي للأوراس (آريس) (1844 - 1844) محاضرة ألقيت في الملتقى التأسيسي لـ«آريس بين الأمس واليوم» المنعقد في الفترة (26 - 28 جوان 1988) ونشرت بالأعمال الكاملة في كتاب «تاريخ الأوراس» دار الشهاب، باتنة 1990.

3) تموقعت القوات الغازية، أول الأمر في مكان يعرف باسم (الكا) (Camp) بالقرب من المسجد العتيق حاليا، وهو النواة الأولى لتكوين مدينة باتنة.

4) تتكون منطقة آريس من القبائل التالية: سكان مشونش، (بني بحمد)، سكان وادي عبدي والوادي الأحمر ووادي الطاقة (أولاد عبدي واولاد سعادة) وسكان الوادي الأبيض (التوابة) وسكان جبل أحمر خدو (بني بوسليمان ولغواسير والسراحنة والشرفاء وبني ملكم وأولاد أيوب واولاد زوارة واولاد عبد الرحمن كباش واولاد سليمان بن عيسى).



من مواجهة كتائب المجاهدين لقوات الغزو في بداية الاحتلال الفرنسي للأوراس عام 1844.

الصادق بن الحاج، لتحريضهم على المقاومة والثبات، متخذين من زاوية أولاد سيدي حمودة، مقرًا للقيادة.

كانت المواجهة شديدة وضارية لأنها كانت أول رد فعل مباشر، يواجه المعتدين في الأوراس، وقد صمد المجاهدون أمام جحافل الأعداء، نصف يوم كان مشهودا، وأصيب أثناء الاحتدام النقيب اسبيناس (Espinace) باصابات بليغة، تقهقرت بعدها قوات العدو بسبب شدة المقاومة، وتراجعت الى بسكرة، بعد تكبيدها خسائر معتبرة، وبذلك فشلت محاولة اختراق الأوراس من الجنوب، وأعيد النظر في إمكانية تعديل خطة الهجوم.

وقد دوّن أحد جنرالات العدو، تقريرا عن هذه المعركة الضروس، نقتطف منه السطور اللاحقة. التي قدّر فيها بسالة أهل مشونش في الدفاع عن الأرض والعرض، وفيهم يقول: (**إنهم مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم ونخيلهم، ولا يستطيعون التنقل والرحيل كقبائل الرحل... إن المعركة التي خضناها مع المقاتلين في مشونش، تعطي لنا الدليل على الدفاع المستميت الحثيث، وقد وجدنا مقاومة عنيفة، ورجالها عنيدون، يدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم، ورجلا برجل على سطوح منازلهم المتلاصقة، نخالها، وكأنها شرفات بعضها فوق بعض**[1]).

1) L'ARMEE D'AFRIQUE, DR F. GUESOY, P.213.

ويلات الحرب

كانت الحرب الكونية الثانية، أعظم العوامل التي أثرت في حياة أحمد، فقد عايش سعير ويلاتها، وشاهد كيف يُزجّ بأبناء الجزائر أفواجًا في الشاحنات، بلا أدنى اعتبار. ويُدفع بهم إلى جبهات القتال، بدون أبسط تدريب، ليكونوا الطُّعم السهل، والحُطام الهش، والوقود الملتهب، في محارق خطوط الدفاع[1] عن شرف فرنسا وكرامتها المداسة، تحت أقدام النازية الرزينة.

لم يهدأ بال أحمد، والجزائر تدفع بخيرة شبابها، تباعا في أفواج متتالية، لا تنتهي إلا بالموت المحتم، لذلك كان عليه، أن يعمل بهدوء وحكمة، حتى لا تبطش أيادي الغدر، وما أكثرها، وأطولها، وأبى أن يقف أمام أصناف الظلم والإرهاب، موقف المشاهد العاجز، فاتجه إلى موقف آخر، هو الجنوح للرفض والتمرد، فكانت عُدّتُه تكمن، في ما يتمتّع به من فكر نير، وشجاعة نادرة.

وكان كلما أعاد التفكير في القضية، التي أرهقته إلا ووصل إلى نفس النتيجة! وهي العمل، وبعزم، على تهيئة الظروف، وإعداد العُدة لليوم الموعود، وبذلك خرج من مرحلة التدبير إلى دائرة القرار، الذي لا تثنيه العراقيل، ومهما عظمت عن تنفيذه.

في عام 1943م كان هناك حدثٌ كبير في حياة أحمد بن عبد الرزاق، فقد كان زواجه، حيث تزوج من ابنة عمه عائشة، ومنها أنجب، الطفلة فاطمة.

وتزوج ثانية عام 1944م من يمينة أعراب، فكان أبناؤه، منها على الترتيب، هم: الويزة، عبد الرزاق، شعبان، ونزيهة[2] المعروفة بـ«فتيحة».

1) من أهم خطوط دفاع فرنسا ضد الألمان في الحرب العالمية الثانية، خط «ماجينو» الذي يمتد على طول الحدود الشرقية لفرنسا من حدود سويسرا الى حدود بلجيكا، بدأ إنشاؤه أندريه ماجينو وكان وزيرا للحربية (1929 - 1930) أثبت هذا الأسلوب عقمه حينما استولت القوات الألمانية على جناحيه في عام 1940.

2) أثناء انتهائنا من اللمسات الأخيرة من الكتاب، فوجئنا بخبر الحادثة المفجعة، التي أدت بحياة نزيهة والمقدم حمودة عاشوري، وكان ذلك يوم 30 ديسمبر 1989 في منطقة شلغوم العيد، رحمهما الله، وأسكنهما فسيح جنانه.

مخازي المنهارين

في شهر ماي 1945م وضعت الحرب الضروس أوزارها، وتخلصت فرنسا من قبضة الألمان الخانقة، وتحررت بفضل الحلفاء ومقاتلي إفريقيا، وعزّ عليها أن يردد على مسمعها، ما مفاده: أنها استنجدت بجيش من إفريقيا الشمالية للدفاع عن وجودها أمام المد الألماني، وأنها خاضت حرب التحرير والخلاص بدماء غيرها من الشعوب وأرواحها، ولم تقبل أن يسجل التاريخ أن باريس، هوت[1] مستسلمة مستكينة، أمام جحافل برلين الزاحفة، بلا تردد ولا تراجع وإلى الأمام، حتى قوس نابليون المنتصر[2]، بل لقد بارك الشعب، يد هتلر الممدودة على بلاد الغال، باسم الحكومة الجديدة[3]،

1) للمزيد من التفاصيل، انظر: تاريخ ألمانيا الهتلرية، خيري حماد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1966، ط2، ص 356 - 358.

انظر كذلك، موسوعة تاريخ العالم، وليام لانجر، ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1971، ج8 ص 3002 - 3003، نذكر بعض ما ورد بإيجاز:

- في 17 - 21 ماي 1940، اندفعت الفرق الميكانيكية الألمانية بعمق في شمال فرنسا.
- في 16 جوان 1940: سقطت بولونيا في يد الألمان.
- في 10 جوان 1940: غزت القوات الإيطالية جنوبي فرنسا.
- في 13 جوان 1940: أخلت باريس أمام التقدم الألماني المستمر.
- في 16 جوان 1940: سقطت قلعة فردان الفرنسية.
- في 22 جوان 1940: وقعت الهدنة بين الالمان والفرنسيين، تضمنت نزع سلاح القوات الفرنسية، ووضع ثلاثة أخماس فرنسا تحت السيطرة الألمانية.
- في 04 جويلية 1940، استولت بريطانيا على جميع السفن الفرنسية الراسية في الموانيء الجزائرية بعد تدمير معظمها.

2) قوس النصر (l'Arc de triomphe) تعرض وقتها لإهانة ما بعدها إهانة.

3) نعني حكومة (فيشي) التي حكمت فرنسا بعد سقوط باريس عام 1940، وأصبحت موالية لألمانيا النازية، وبعد إنزال الحلفاء بالجزائر سنة 1942، احتل هتلر كل فرنسا، وظلت حكومة (فيشي) في الحكم حتى انهارت عام 1945.

باريس سنة 1940 م، ويبدو المسرح فارغًا من رواده.

وهذا يعني أن إيمان فرنسا بنفسها انتهى[1]، وانتهى من ثمة استقلالها، أمام الحلفاء والعالم، نتيجة الصدمات العنيفة التي تلقتها من الألمان، وتركتها غارقة في حالة من الوجوم واليأس في أمل التحرير.

ورأت فرنسا في كبريائها عارا وشنارا، وتصورت بأنه لا يمحى إلا بالدماء والدمار، فهرعت نحو الانتقام الأعمى، فكانت المجازر المروعة والمذابح الرهيبة، التي يبيض من هولها الغربان، مجازر من فقدوا كرامتهم، وكل شيء، وأرادوا الغوص في الجرائم، حتى يثبتوا إنسانيتهم، وكان لهم ذلك في سطيف وقالمة وخراطة والمدن الجزائرية الأخرى[2].

لقد قدّم الشعب الجزائري، فَلَذَات أكباده ضحايا على مذابح الحرية بسخاء، لم يعرف له التاريخ مثيلا من قبل، ولقد أعطى للإنسانية، أمثولات خالدة في الإباء والصبر، والشجاعة والاستمرار في الكفاح، أمثولات يقف أمامها وطويلا، مئات الملايين من بني البشر، احتراما، وتقديرا لعظمة الشعب، الذي منحها ومجانا، كنموذج رائع من نماذج التفوق على الألم والخوف والقسوة.

---

1) لم يحدث في التاريخ أن سلم قوم عاصمتهم للأعداء، وهنا أسرد حادثة ولأني لم أجدها في مرجع آني، لكني أحتفظ بها، وقد ذكرها في محاضرة الفلسفة اليونانية، الدكتور حازم طالب مشتاق في جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الفلسفة عام 1974.

حدث أن زحفت جيوش فارسية تعد بعشرات الآلاف لاحتلال أثينا، ولم يكن لدى الإغريق جيش للدفاع عن مدينتهم، وهنا تطوع عشرة رجال، وقالوا: لن يمر الغزاة بدون مقاومة، وبرزوا للآلاف بلباس الفرسان الشجعان، ملوحين بالسيوف في أيديهم، وقالوا للمهاجمين، سنبيدكم: بارزونا ألف مقابل واحد! أو خمسة آلاف أمام اثنان!! أو كلكم الى عشرة!؟ ولكن لم يمهلوهم، فامطروهم بالنبال فقتل العشرة في الحين، وبقوا ثابتين كالأشجار التي تموت واقفة.

إلا أن التاريخ سجل أن عشرة فرسان إغريق، قابلوا وقاتلوا عشرات الآلاف من جيوش الفرس، ودافعوا عن عاصمتهم دفاعا مستميتا، وقد وجد الكتاب والشعراء في الحادثة: مادة خصبة لكتاباتهم وخيالهم، فكانت الملاحم والروائع الخالدة، والأساطير البطولية الطويلة التي تروي مقاومة هؤلاء الشجعان.

2) انظر: الجزائر عبر الأجيال، أبشع مذبحة بشرية القاضي الجزائري مسعود مجاهد، ص 277 وما بعدها.

جزاء الجزائريين

إن كل طلقة من الطلقات النارية، التي يردي بها العساكر الفرنسيون، طفلاً من أطفال الجزائر، وفتاة من فتياتها، أو شيخا من شيوخها،أو إمرأة من نسائها، إنما ترتد على فرنسا بالذات، إصابة قاتلة، لتجر مجدها حتما إلى أسفل سافلين، وتردمه في قبر من قبور التاريخ.

وفي آخر المطاف، لا يبقى من ذكريات فرنسا،غير ذكرى الجريمة،التي يرتكبها زبانية الفرقة الأجنبية، والمظليون، الذين تجتمع في نفوسهم، غطرسة الإستعمار في بداية النصف الثاني من القرن العشرين.

وإذا كانت فرنسا قد أقدمت على إبادة الألوف من الجزائريين، عن سابق إصرار وتصميم، فإن الجزائر، هي الأرض التي تصنع مصير فرنسا الأسود، إنها المقبرة الواسعة، التي تستقبل في كل يوم جزء من الروح الفرنسية، لتلفّها في غياهب النسيان التاريخي[1].

إن الفكر النير الذي قاد أبناء الجزائر إلى الثورة، نجد له روافد لا تنضب، ومن أمثلتها ما تحمله هذه السطور التي كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي في عيون البصائر عام 1948م لتنير طريق الملايين من المضطهدين والمحرومين، وتدعوهم إلى الثأر وتحمل الألم والصبر على العدوان ومواجهة الحديد بالإيمان العنيد، والقلب الصابر، وبالاستمرار في تقديم الضحايا حتى النصر الأكيد، إذ أنه قال:

(لك الويل أيها الإستعمار، أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة، فأنجدك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم، فأوجدك، أهذا جزاء من كان يسهر، وأبناؤك نيام، ويجوع

1) عن القاضي الجزائري مسعود مجاهد، الجزائر عبر الأجيال، المرجع السابق، ص 192.

أهله، وأهلك بِطَان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شَعَاعا، أيُشرفك أن ينقلب الجزائري من ميدان القتال إلى أهله، بعد أن شاركك في النصر، لا في الغنيمة، ولعل فرحه بانتصارك متساو لفرحه بالسلامة، فيجد الأب قتيلا،والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محرقة، والغلّة متلفة، والعرض منتهكا،والمال نهبا مقسما، والصغار هائمين في العراء.

يوم (8 ماي) يوم مظلم الجوانب، مطرز الحواشي بالدماء المطلولة، مقشعر الأرض من بطش الأقوياء، مبتهج السماء بأرواح الشهداء، خلعت شمسه طبيعتها، فلا حياة ولا نور، وخرج شهره عن طاعة الربيع، فلا ثمر ولا نَوْر[1] وغبنت حقيقته عند الأقلام، فلا تصوير ولا تدوين.

يا يوم !... لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى،والذكرى التي لا تُنسى، فكن من أية سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل ما لَكَ علينا،من دَيْن،أن نحيي ذكراك، وكل ما علينا لك من واجب، أن نُدَوِّن تاريخك في الطروس[2] لئلا يمسحه النسيان من النفوس)[3].

1) النوْر أو النوار، نوْر الشجرة الواحدة نوّارة، وهي مجموعة من الأزهار، وتخرج من شمراخ زهري واحد (كسنبلة القمح).

2) الطروس: الصفحات التي محيت ثم كتبت.

3) عيون البصائر، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 361 - 364.

محنة الوطـن

في ربيع عام 1947م عمل أحمد بن عبد الرزاق، على تنظيم لقاء سياسي بداره، لغرض، عرض فكرة الكفاح المسلح[1] التي كانت لا تهضم إلا بعسر، ولا يزال مفهومها في تطور رحمي، كما قال أحد المفكرين.

وبالرغم من هذا، عزم صفوة من الشباب الواعي، المؤمن بقضيته العادلة، على اللقاء في ظروف قاهرة، مما يدل على مدى نضج الفكرة لديهم، والتي سيعملون على تحقيقها عمليا، وفعلا كان الاجتماع، وقد ضم: مصطفى بن بولعيد (آريس) أحمد بودة (برج منايل) محمد محفوظ (تبسة) محمد عصامي (بسكرة) محمد الأمين دباغين (العاصمة) محمد الشريف قاسمي (تيفلفال) عبد الله بن حبيلس (سطيف).

وفي مطلع عام 1948م كون أحمد خلايا سرية سياسية عاملة في الجهة، نذكر طلائع بعض مناضليها: إبراهيم زروال، عمار بن عمروس قرقب، إبراهيم جيماوي، عمار بن محمد شاهدي، الصالح أعراب، لخضر بن لعلى قطوشي، علي بلحاج بن جديدي، أحمد عبدلي، الحسين عبد السلام، محمد بن المسعود بلقاسمي والمناضلة مهنية سي العابدي[2]، أو (مهنية أُوثْ زَرَارَة) كما يعرفها أهل المنطقة.

---

1) نرى أن نسجل عن أستاذنا مولود قاسم نايت بلقاسم، ما ورد في كتابه: ردود الفعل الأولية داخلا وخارجا على غرة نوفمبر أو بعض مآثر فاتح نوفمبر ص 34، حيث ذكر المفاجأة المدهشة التي قام بها الزعيم، أحمد الحاج مصالي جهارًا ولأول مرة بالجزائر في المطالبة بالاستقلال، خلال الخطاب التاريخي يوم 19 جويلية 1936 بالملعب البلدي بعاصمة الجزائر.

وللتذكير والإفادة، أن حزب نجم شمال إفريقيا، الذي أسسه الحاج مصالي، كان شعاره الاستقلال التام للجزائر، انسحاب قوات الاحتلال، تشكيل جيش وطني.

2) استشهد هؤلاء المناضلون في ميدان الشرف والكرامة أثناء الثورة، عدا الأم مهنية، فإنها ما تزال حية شاهدة، تروي وتحكي الكثير عن الحرب، وبعض جوانبها، التي لم يسلط عليها الضوء بعد.

التجارة الرابحة

كان على أحمد بن عبد الرزاق لزامًا، أن ينتقل في منطقة الأوراس، والسفر في جهات الوطن، وبحكم عمله في التجارة، سهّل له الاتصال بأصحاب النفوذ، والكلمة النافذة، فتعرف على بعض التجار والأعيان، الذين أحبوه لعلمه، وحسن خلقه، وإتقانه لعمله، منهم: العقبي بن عمارة، علي حملات، محمد بن قانة، سي الحسين رزقي، محمد العيد بوليفة، سي البشير عاشوري، الحاج الشاوي، معمر ميدة، عطية جحيش وأحمد جرجار وغيرهم، واستطاع بدأبه ونشاطه، أن يرتفع إلى مصاف أهل الشأن والرأي.

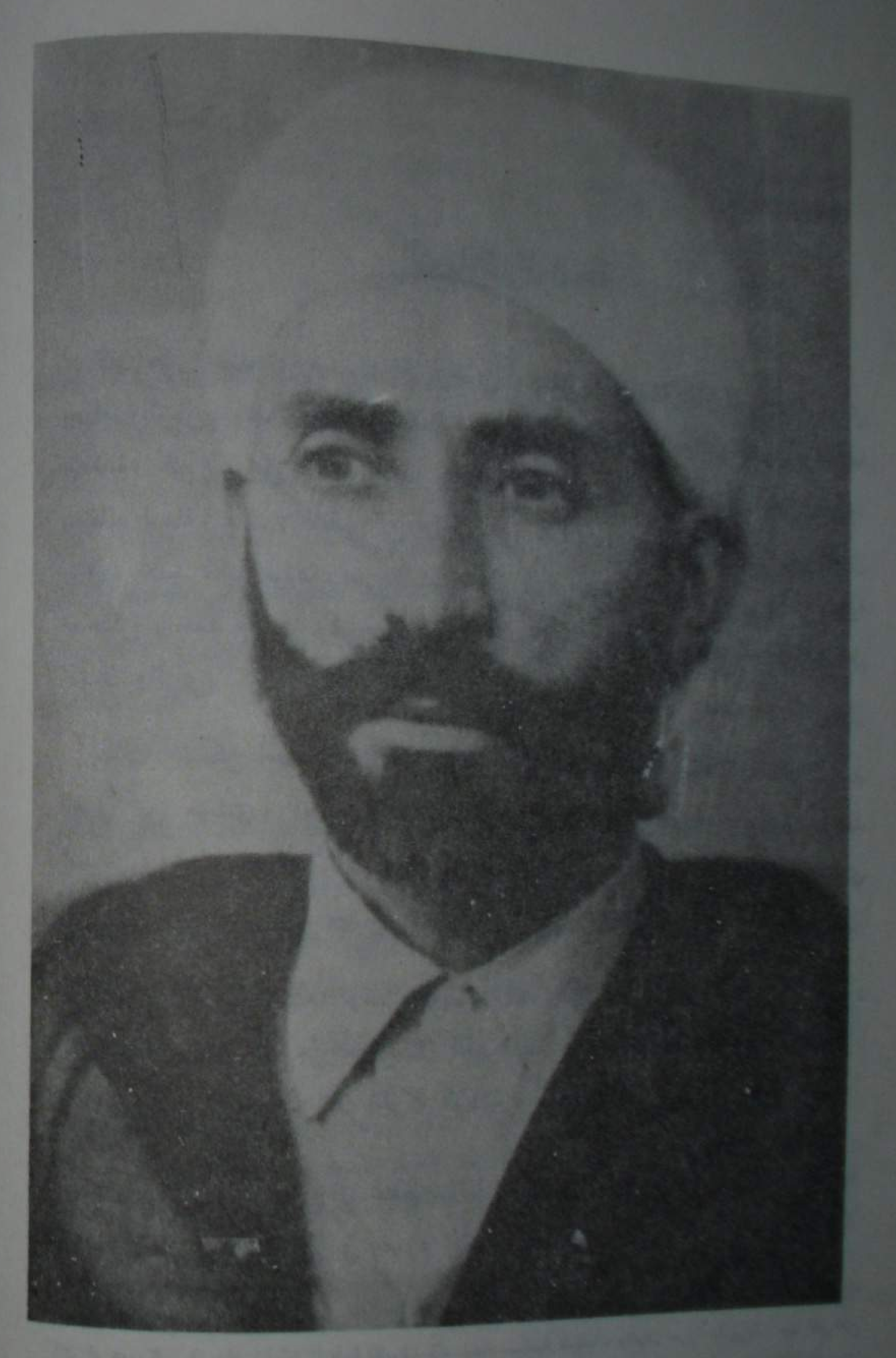
بذلك، تمكن أحمد، من أن يلتقي ببعض أعضاء الحركة الوطنية، أمثال: محمد العربي بن مهيدي، الحكيم أحمد الشريف سعدان، مصطفى بن بولعيد، أحمد محساس، محمد عصامي[1]، محمد بلوزداد، الأمين دباغين وعبد القادر لعمودي لخضر قربازي، الصالح مختاري وآخرين ..

لقد تعرف على هؤلاء، ونسق معهم أعماله، التي كانت تحتاج لكثير من الجهود المضاعفة، وكان أول من أدخل الى الجهة المطبوعات السياسية المناهضة للاستعمار، والمناشير التي توزع من لدن الحركة الوطنية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

كانت مشونش، ولا تزال تحتفظ بتراثها العريق، ففيها تأسست أول مدرسة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عموم الأوراس، وكانت منبرا لمشايخ فضلاء وعلماء

---

1) محمد عصامي: من السياسيين الأوائل الذين حملوا لواء الكفاح المسلح، في الأوراس والزيبان والصحراء كان له دور كبير في دفع الحركة الوطنية للثورة، قام بمهام سياسية تاريخية، وأعمال حربية مشهودة، فيها كثير من البطولة النادرة، التي تنم عن استعداده للتضحية في سبيل الله وتحرير الجزائر، حدثني عن أمور تستحق أن تسجل في صفحات خالدة.



الشيخ أحمد تيمقلين السرحاني

(1912 - 1968)

أجلاء، نذكر منهم: عبد الواحد وحدي، عمار عباس، أحمد تيمقلين السرحاني، عيسى بحياوي الدراجي، زكريا حمودة[1]، مولود مطمر، عبد الوهاب حدنانة، أحمد بورمل ومحمود بن عمر وغيرهم.

لقد عمد هؤلاء إلى تعليم الصغار والكبار في الجوامع والزوايا[*] والمساجد، تحت بصر الاستعمار ورغم أنفه، الذي كان يعمل على نقل الجزائر من مرتبة «مستعمرة» إلى مرتبة «مقاطعة» حيث يتمتع الجزائريون بصفة «مواطن» فيكون لهم من الواجبات والحقوق! ما للفرنسي المسيحي ؟!.

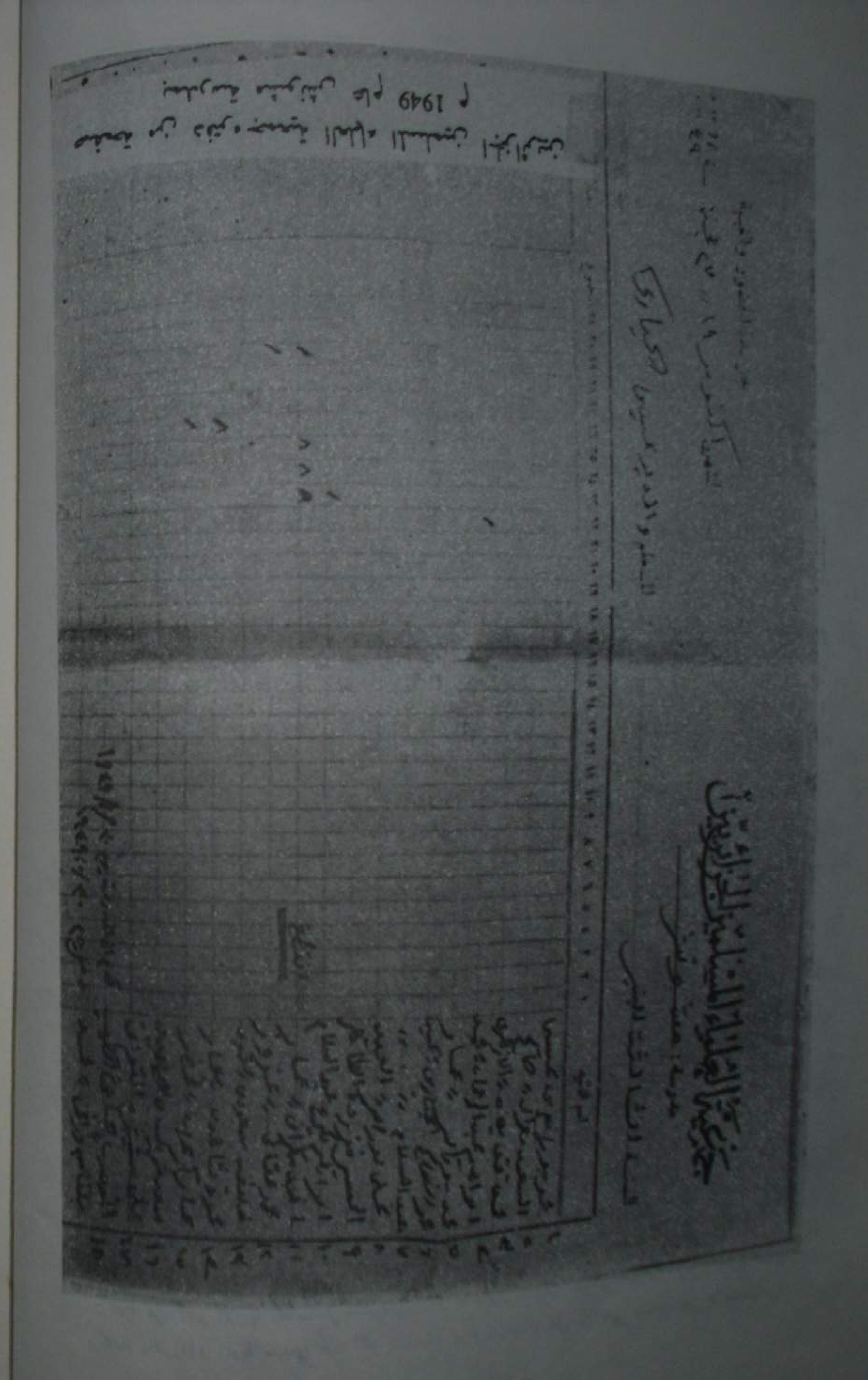
ولكن هيهات، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمرصاد للدخلاء، ولخُطَطِ الإستعمار الإجرامية، فالتعليم الصحيح، الذي قاد حملته الشيخ عبد الحميد بن باديس، قد بدأ يؤتي ثماره، إذ أثار في الجزائريين، الثقة بالنفس. وألهب صدورهم بالعزم على الثورة، وأمدهم بالأمل الكبير المنير.

إن المبادىء العالية التي عمل من أجلها الإمام عبد الحميد بن باديس وصحبه الميامين، قد أثمرت الآن، فكان طلاب العلم في مدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمشونش ثوارا وجنودا وقادة، وصاروا أكثر صلابة وعزما ومضاء في وجه الطغيان، وقدموا أرواحهم الزكية الطاهرة في سبيل الله وتحرير الوطن، ونذكر بعض هؤلاء الأبطال الشهداء: عبد الله بن الحاج المحبوب خلاف (طامزه)، علي بن العيد بوراس (مشونش)، الحسين بن الخذير بن عكشة (زلاطو)، أمحمد بن محمد جريدي (طامزه)، عبد الكريم عباس (مشونش)، عبد المجيد بن عبد الحفيظ بدرة (كيمل)، عبد الحفيظ بن محمد الصالح خلاف (طامزه)، والمبارك غبروري (يابوس) وغير هؤلاء الأبطال.

---

1) نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدرسة مشونش.

*) من أهم الزوايا العاملة في مشونش أثناء الاحتلال : زاوية سيدي حمودة بالرمل، زاوية سيدي بركات بالقرراة، زاوية سيدي عبد الله بالبليدة، وزاوية سيدي علي بن يحيى بسفح جبل « عيصطراس ».



الهِجرة في الهَاجِرَة

أصبح الشاب أحمد بن عبد الرزاق في مكانة اجتماعية بارزة، وصار يشار إليه من قبل الإستعمار وأعوانه، بأصابع التهمة، ويصفونه بـ«الخطير» الذي يجب أن يوضع حدّ لنشاطه وتحركاته، إلا أنه في صيف 1949م، عبر البحر في مهمة سياسية إلى فرنسا، ليتابع نشاط الحركة الوطنية في الخارج، ويفوّت الفرصة، ولو مرحليا على عيون الإستعمار، التي كانت تراقبه في حركاته وسكناته.

ومما يروى عنه، أنه كان ذا شخصية قوية، لها قابلية على التأقلم مع الظروف والمحيط، فتراه سائحا[1] ملتحيا، يقطع المسافات الطويلة بحقيبته الظَّهرية (Sac a dos) بلا كلَلٍ أو ملَلٍ، باحثا وَ مُتحريا عن شيء ما، علّه يلقاه أو يجده، بين ثنايا الأرياف، والمسالك الوعرة، وتصادفه طورًا، شخصا كادحا كإخوانه الآخرين، يطلب العمل من مكاتب الشغل والشركات الاستعمارية، ينتظر الليالي الطوال، لا يغمض له جفن ولا يصيبه الوهن، حتى ليخال للمرء، أنه في مهنة عادية[2]، وتلقاه أحيانا تاجرا ماهرا

1) لقد لقب احمد بن عبد الرزاق بـ(سي الحواس) لأنه كان يكثر من التجوال. إذ أنه يقطع يوميا أحيانا مسافة (75 كلم).

2) قال الراوي: المجاهد حمة بن أحمد العذاوري أن أحمد بن عبد الرزاق، قال له: (سافرت مرة الى بسكرة قبل اندلاع الثورة في مهمة نضالية حزبية، ولكن تمت وشاية بي للعدو، فاضطررت الى مغادرة بسكرة، متنكرا في لباس امرأة، بمساعدة شخص يدعى المكي، كان له متجرا أصله من وادي سوف، ومن بسكرة اتجهت الى ورقلة وفي المدينة، اشتبه فيّ العدو، وأحسست أن عيونه تلاحقني، فاخترت أن أتنكر في ثياب متسول فطلبت من أحد المتسولين أن يستبدلني ثيابه الرثة بثيابي فأبى أول الأمر، ثم قبل بعد أن دفعت له مبلغا من المال وصرت أتجول في الشوارع وأدخل المقاهي في حالتي تلك المزرية أسأل الناس الصدقة، فكان كلما أعطيت صدقة أشعر بالخجل، وفي مقر الشرطة ،أجد الإعلانات ملصقة بالجدران بها صورتي واسمي، ولكن لشدة تنكري كان الشرطة يطردونني كلما رأوني أقترب منهم متسولا، إزدراء لحالتي العفنة، فكنت أغادرهم لأختار أوسع الأماكن أتمدد فيها مهلة، ثم أعاود الكرة سائلا الناس الصدقة، الى أن أنهيت مهمتي التي كنت مكلفا بها).

نقلا عن مجلة أول نوفمبر اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، العدد 91،90، شعبان/رمضان 1408هـ مارس/افريل 1988 ص 14.

محتكا، يحمل ساعة ذات سلسلة ذهبية ثمينة، متدلية من جيبه، يُوَقِّع الصفقات مع رجال الأعمال...الخ.

ويقال، أنه كان بحوزته هَويات تنقل، وجوازات سفر، متنوعة المهن والمهام، منها بطاقة، تحمل اسم شخصية يهودية، استطاع أن يتعامل بها مع التجار اليهود، ويتعرف على كثير من الغلاة الفرنسيين، ويعرف بعض الجوانب الجانبية من أسرارهم، ويكشف أساليب مكائدهم.

لقد طال مكثه في فرنسا، دون أن يتحرك كثيرا، وهو الذي ما عُرف عنه الركود يوما، ومما لا ريب فيه أنه اكتسب في هذه الفترة، الطويلة نسبيا، شيئا آخر غير المغامرة الهادفة، بل أدرك أن الفرنسيين لا يمكن أن يفهموا يوما، أن شعب الجزائر، له كل الحق في الحرية والاستقلال.

وفي شتاء 1953م عاد الشاب المهاجر (سي الحواس) إلى وطنه المكبل، وهو يحمل معاناة وآلام الجزائريين الذين يعاملون على أساس، أن يكون في خدمة أهل البلاد ورفاهيتهم، ويبقى الجزائري دائما، عرضة للتفتيش والإرهاب والمتابعات من قبل الشرطة والبوليس[1] السري الفرنسي.

عاد وقد عرف أن فرنسا انهزمت شرّ هزيمة، أمام هتلر في الحرب الأخيرة، وأنها تلقت عدة لطمات تأديبية في الهند الصينية، وأنها استنسرت، ولا زالت تستنسر في الجزائر، وتتوارى في ثوب النعامة بل الحبارى[2] في غيرها.

---

1) تستند فرنسا على جهاز بوليسي رهيب، مقسم الى عدة فرق هي: القوة الضاربة، وبوليس أمن الدولة، وفرقة التفتيش الإداري، وفرقة المباحث العامة، وهي جهاز قمعي، يضم جيش من العملاء، وجيش من المجندين في أعمال التجسس، وتعقب الوطنيين من مستعمراتها، إضافة لفرق البوليس المتواجدة في القرى والمدن بشكل سري أو بشكل آخر.

2) لأن النعامة، لها صفات جيدة منها طول ساقيها وسرعتها وقامتها، وكبر بيضتها التي تعادل ما يقارب (140) بيضة من بيض الدجاج.
أما الحبارى، فهي طائر أكبر من الدجاج، وأطول عنقا، ويضرب به المثل في البلاهة لأنها إذا غيرت عشها نسيه، وحضنت بيض غيرها، وقد قالت العرب: (أبله من الحبارى) وهذا الطير يخف للصقر ليحاربه من شدة الرعب منه.

وفرنسا نفسها تفهم هذا جيدا، ولكنها تتمادى في طغيانها على الشعوب العزلاء. فهل من المنطق السليم، أن نصف فرنسا بالخسة والنذالة والوقاحة والخور والجبن أيضا. وهي نفسها مقتنعة، بأن سياستها قائمة على مزيج من هذه الصفات الدنيئة التي لا تكترث، إذا هي وصفت بها آلاف المرات... بل ملايين المرات[1].

لقد أظهرت الأحداث، أن الشعب الجزائري، ما خضع ولا استكان يوما لإرادة فرنسا وأعوانها، فلقد أغرت نار الثأر والثورة صدره، وألهبت كبرياءه وكرامته، فراح يستجمع قواه، ويوحد صفوفه لمواجهة أعدائه المستعبَدين (بفتح الباء) للإمبريالية العالمية، وكان الشعب لا يفتأ يعبر عن سخطه وكرهه للإستعمار، معبرا عن إرادته بلا تردد. وفيه من روح النضال والإستماتة في سبيل الله والوطن، ما جعله يثور كالرئبال[2] عملاقا مُرعِدًا في وجه أعداء الحياة والبشرية.

---

1) هذا لسان حال كل أبناء الأمة العربية والاسلامية الأحرار أثناء الحرب؟

2) الرئبال (جمع) رآبيل ورآبل ورآبلة ورابيل ومعناه: الأسد.

اليوم الواحد

في هذه الليلة من غرة نوفمبر 1954م في كامل أرجاء الوطن، دقت ساعة الثورة، معلنة للعالم أجمع، بأن عهد الإستعمار في الجزائر قد مضى وانقضى، وسمع العالم بصوت الثورة الجزائرية، صوت الشعب الجزائري، في الساعة الواحدة من اليوم الواحد، الموافق للشهر الحادي عشر من عام أربعة وخمسون وتسعمائة وألف.

وتناقلت وكالات الأنباء، وقائع الليلة الغراء، مع التعاليق المختلفة على زمن وقوعها، ونوعيتها وأهميتها، مؤكدة أنها بداية لعمليات واسعة، محكمة التنظيم قوية المفعول.

وما إن حلّ مساء هذا اليوم التاريخي، حتى كانت إذاعات المعمورة، وفي مقدمتها إذاعة صوت العرب من القاهرة بصوت المذيع أحمد سعيد، يقصف، بل يعلن بقوة، قوة الحق، اندلاع الثورة الجزائرية[1]. وسمع العالم لأول مرة نشيد الأحرار الجزائريين يدوي ليردد:

من جبالنا طلع صوت . الأحرار، ينادينا للاستقلال

ويقوم وفد الجزائر في القاهرة، بقراءة أول تعليق له بعنوان «الثورة تتفجر في الجزائر» وفي تونس كان عيسى مسعود، الصوت الهادر يجلجل، ليعلم أن الثورة عارمة، لا مَرَدَّ لها من قبل الإستعمار، وفي مراكش كان محمد بوزيدي يوالي نداءات الثورة، التي كانت

---

1) انظر: الثورة الجزائرية في عامها الأول، الدكتور محمد العربي الزبيري، دار البعث قسنطينة، 1984، ط1، ص 117 - 148.
أيضا الثورة الجزائرية، المجاهد مصطفى طلاس، المقدم بسام العسيلي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1984، ص 39 - 82.



أفواج من الرعيل الأول في ليلة غرة نوفمبر 1954

صواعق على الأعداء. وإذاعات: العراق، ليبيا، سوريا، أفغانستان[1]، والمجر (إذاعة بودابست) قطعت برامجها، لتبث خبر اندلاع الثورة في الجزائر، وسخّرت كل إمكاناتها للنبأ العظيم، ولم تكن وسائل التشويش، المجندة من طرف فرنسا وأعوانها، قادرة على التأثير أو إخفاء، هذه الأصوات المعبرة عن ضمير الإنسانية الحقة، وعن بداية انجلاء ليل الإستعمار الطويل.

1) أرى واعترافا بالجميل، أن أرد ولو بقدر يسير، ضيافة وحفاوة الأفغان لي، إذ سمعت في هرات وقندهار وكابل، وفي كل مربع حللت به، أثناء سياحتي ورحلتي إلى أفغانستان، وآخرها عام 1977، قيل لي: أنه غداة الثورة الجزائرية، أعلنت الحكومة، باسم الملك محمد ظاهر شاه، تأييدها المطلق، وأن الشعب الأفغاني، ساند الثورة المسلحة بما يملك، وهنالك مواقف رسمية مشهورة، وحالات شعبية تروى في هذا المجال.
طالع كتابي، أيام في بلاد الأفغان دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986، ص 154 - 162.

طلائع الأحرار

أثناء هذا الجو المفعم بروح التضحية والفداء، كان القائد مصطفى بن بولعيد، الموجه للأفواج من دشرة أولاد موسى، وخنقة الحدادة، يتابع سير تنفيذ العمليات الأولى المبشرة بالثورة، أولاً بأولٍ مع أعضاء القيادة، التي تتكون من: بشير شيحاني، عجول عاجل، مصطفى بوستة، مدور عزوي والمسعود بلعقون.

في تلك الهنيهات الطويلة، كانت أفواج المجاهدين، تشد الخُطى وتشق طريقها صوب أهدافها المحددة، وهنا يفقد المرء حساب الزمن حين تتحرك أقدام الثوار بإلحاح، في ظروف لم يعد فيها بُد من الإقدام، وتستوي تضاريس الأرض في عتمة ليل نوفمبر المظلم البارد، وكانت الخطوات حثيثة وسريعة، بين الجبال وعبر روابي وتلال: تكوت، تيفلفال، غوفي، بانيان، مشونش، لحبال، الدروع وشتمة، إلى مكان التجمع (القراف)[1] بالعالية شرقي بسكرة.

وإن تذكر هؤلاء الشجعان الصناديد الرعيل الأول من الثورة الكبرى، يعيد إلى الذاكرة صور الرجال، الذين تتمثل فيهم حالات بطولية فريدة، تشكل مثار كل تقدير واعتزاز وهم: الحسين برحايل، الحسين عبد السلام، عبد القادر عبد السلام، عبد الرحمن بن عبد السلام، محمد بن عبد السلام، محمد العيد بن عبد السلام، عبد الله عقوني، الطيب عقوني، لخضر بوغرارة، علي بشينة، محمد عثماني، إبراهيم جباوي، يحيى بن ابراهيم، ابراهيم زلي، الطاهر عماري، محمد لخضر عماري، مخلوف عبيد الله، ابن مسعود عبيد الله، محمد أمزيان خذري، علي صايغي، محمد الطاهر نوري[2]

1) من هذا الموقع الاستراتيجي، انطلقت الأفواج صوب أهدافها ببسكرة، وإليه عادت سالمة، بعد تنفيذ العمليات الأولى للثورة، والكلمة أجنبية ومعناها، الموقع الذي يكثر فيه الحصى (صغار الحجارة).

2) رُزق هؤلاء الشهادة، أثناء الثورة التحريرية.

موقع «القراف» حيث خيّم المجاهدون قبل تنفيذ عملية الهجوم الأول

الصالح بن رحمون، مسعود أفرن، محمد الشريف عبد السلام[1]، الطيب ملكمي، الصالح سلطاني (القط) محمد بن عبد الباقي، السبتي وزاني، الصادق مباركي، أحمد قادة، يونس ملكمي، المسعود لونيسي، عمار سلطاني، محمد عبيد الله، مصطفى بومعراف عبد الله، الطيب كعباشي، عبد العزيز عبيد الله، محمد بن مدور، موسى سليماني، وعمار بن عجول أخذري.

لقد كان هؤلاء كما قال أحد القادة المفكرين «على قدر من الشهادة، من أجل الحياة الحرة الكريمة، فالشهادة تظل عنوان الحياة، ولا حياة حرة بدون تضحيات، فبمقدار ما تجود النفس، بمقدار ما تمنح نفسها، حق الحياة الحرة».

1) محمد الشريف عبد السلام: أحد الأبطال، الذين كان لهم شرف إطلاق الرصاص على العدو الفرنسي في ليلة نوفمبر 54 إنه المجاهد المغوار، الذي كافح الاستعمار في الولاية الأولى والسادسة، طيلة سبع سنوات ونصف، تقلد عدة مناصب في الثورة، آخرها، مسؤول ناحية، تكلم معي عن أحداث سياسية وعسكرية هامة.



من أبطال الهجوم على ثكنة (سان جيرمان) في غرة نوفمبر 1954م. وهم من اليمين إلى اليسار: الصالح سلطاني (القط) محمد الشريف عبد السلام والصادق مباركي، التقطت الصورة في موقع (لقراف) الذي أقامت فيه فرنسا ثكنة عسكرية رهيبة.

الهجوم الصاعق

اندفع هؤلاء الصناديد، بكل شموخ وبطولة، صوب الهدف المحدد، المتمثل في العمود الفقري للجهاز الإستعماري، ثكنة (سان جيرمان)[1] ببسكرة، التي يعسكر فيها لواء من رماة السنغال والحرس المتنقل، كما حمل الهجوم على محطة القطار ومركز الشرطة ومحطة توليد الكهرباء، واتصف في كل هذه الأهداف بالدقة.

لقد تقدم الأبطال، وهم يطلقون النار، ويملأون فضاء المعركة بنداء، الله أكبر، فأصابوا وقتلوا العديد من الأعداء، وألقيت قنبلة حارقة على معمل النجارة، فاشتعلت فيه النيران، وعم الدخان الأرجاء، لينذر الاستعمار وعملائه، بأن شرارة الثورة، انبعثت وتعالت، وأن صواعق ماحقة ستنصب على المحتلين، أنّى وُجدوا في الجزائر الثائرة.

واستمر إطلاق النار، ما يقرب من عشرين دقيقة، دون أدنى رد فعل أو مواجهة، نتيجة عامل المباغتة، وبعد انسحاب المجموعة، راح الرماة يطلقون النار في كل اتجاه، وبدون أي تمييز، وتعالت أصوات الإنفجارات وطلقات الرصاص اليائسة الطائشة، وظهر نوع من شبه المقاومة الارتجالية من جانب المحتلين، وذلك بعد أن انسحب الأبطال مُخَلِّفين وراءهم الفزع والهلع في صفوف العدو وعملائه بالمدينة.

وأما الهدف الثاني، فكان مراكز الفرنسيين وعملائهم بمشونش، حيث عرج الأبطال بقيادة الحسين برحايل بعد أن دكوا العدو في حصونه ببسكرة.

1) سان جيرمان: رائد من قوات الغزو، والمسؤول العسكري في بسكرة (1844 - 1849) تولى أمر محاصرة وأسر شيخ المجاهدين الحاج أحمد باي بسفح جبل أحمر خدو بالأوراس عام 1848. قُتل في مواجهة كتائب سيدي عبد الحفيظ الخنقي بوادي براز قرب سيدي عقبة عام 1849. وثكنة «سان جيرمان» هي ثكنة القوات المحمولة جوا (حاليا) للمزيد من التفاصيل، انظر: محاضرتنا، الاحتلال الفرنسي للأوراس (1844 - 1884) تاريخ الأوراس، مرجع سبقت الإشارة إليه، ص 223 - 233 .

وكان الهجوم الموفق، على مراكز وتجمعات قوات العدو، المتواجدة في الفندق والمستشفى والمدرسة، حيث كان يتمركز الحرس المتنقل بقيادته، وهوجمت دار «القايد» الصادق صنيع فرنسا، وغنم المجاهدون منها، قطعة سلاح، وذخيرة متنوعة.

ولم تعرف الخسائر، إلا أنّ تحركات كثيفة ونجدات سريعة، تمت ليلتها، والوحيد الذي لقي مصرعه في هذه الليلة الليلاء، بمشونش، هو الحارس، الصالح بن ذباح، الذي أصيب، أثناء محاولته الدفاع عن الفرنسيين المحتمين بالمدرسة.

ومباشرة بعد تنفيذ العمليتين، أعطيت الأوامر للثوار، بعدم الرجوع إلى منازلهم، لأنهم يعتبرون من الآن، جنود جيش التحرير، حتى تستقل الجزائر، أو ينالوا الشهادة في سبيل الله والوطن.

الفجر الساطع

لقد كان نوفمبر، شؤمًا ورعبا على فرنسا وأعوانها في الأوراس، وفعلا، فما كان من (قايد) مشونش والمعلم مانيروت[1] وزوجته، إلا أن ولّوا هاربين، وهم لا يلوُون على شيء.

ونظرا لكون هؤلاء، يمثلون الاستعمار في أبشع صوره في الجهة، فإنه هيهات أن يفلتوا، فلقد أوقفتهم يد الثورة الضاربة في ممر الموت «مضيق تيغانمين»[2]، حيث اعترضهم، الفوج المكلف بعملية رصد التحركات على الطريق، الرابط بين آريس وبسكرة، بقيادة البطل محمد صبايحي، الذي تموقع في أقرب نقطة من الطريق، وأما بقية أفراد الفوج فهم: الصالح غسكيل، المبارك جغروري، بلقاسم أوفافا، أحمد غقالي، إبراهيم بوستة، أحمد بن أحمد غقالي، محمد جرموني، عمار برغوثي والآخرين.

لقد تموضعوا على حافتي الطريق، واختبأوا خلف الصخور والأشجار، بعد أن وضعوا حاجزًا من الحجارة في عرض ممر الحافلة، الناقلة للبريد التابعة للهاشمي حليمي والوردي بوسعد، والتي كان يقودها السائق الحاج إبراهيم حليمي.

صعد البطل المبارك جغروري إلى جوف الحافلة، وتكلم مع الركاب، وأبلغهم بأن الثورة اندلعت، وأن المجاهدين تحمّلوا المسؤولية، وحَمَلوا الأمانة، وتعاهدوا على أن يواصلوا الجهاد ضد الإستعمار وأعوانه، وواصل المجاهد تلاوة بلاغه، وأسمع للجميع بيان أول نوفمبر.

1) كانت النظرة الى المعلمين تعتبرهم مبشّرين بالتنصير والإدماج الفرنسي، والفرنسي مانروت، معلم بمدرسة تفلفال.

2) مضيق تيغانمين: يبعد عن آريس (18) كلم، وعن بسكرة بـ(52) كلم، وباتنة بـ(78) كلم.

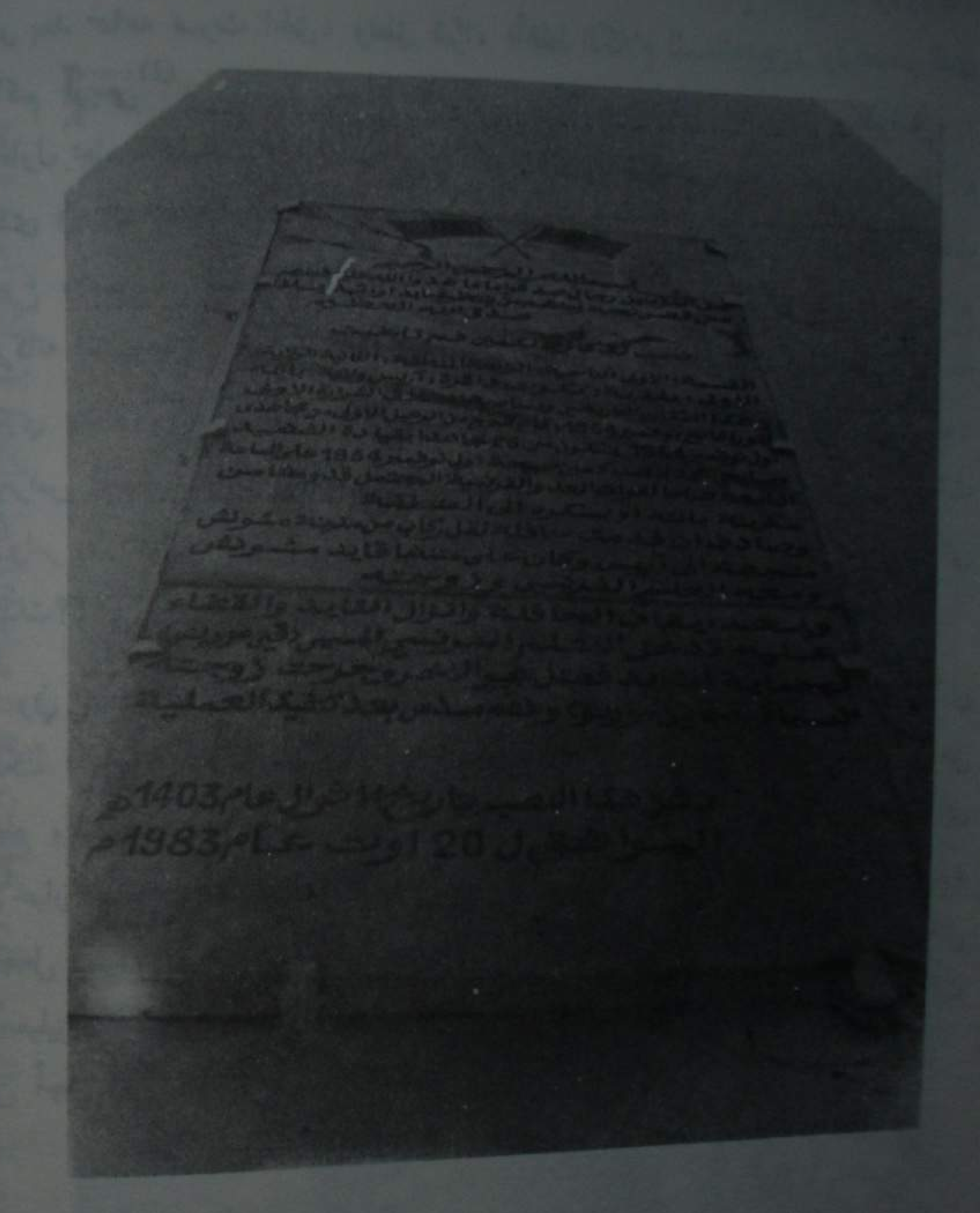
التقطت الصورة من نفس الموضع الذي انطلقت منه الرصاصة الأولى للثورة في الأوراس، ويبدو النصب التذكاري بارزًا في الموقع الذي نفذت فيه العملية في صبيحة الأول من نوفمبر 1954

إلا أن الطاغية «صدّوق» المعتز بإثمه نَفَذ صبره، وأقلقه الكلام القارع له ولأزلامه، فثار بعد سماعه صوت الحق، ونطق شرًا، فأغلظ الكلام للمجاهدين، وتوعدهم لدى حاكم آريس[1]، ونعتهم بقطاع الطرق، والخارجين عن القانون، والفوضويين، وحاول جاهدا المجاهد المبارك جغروري، تهدئته، وإرجاعه الى جادة الصواب، الى أنه تمادى في غَيِّه وغطرسته، وبخفة، حاول أن يمد يده لمسدسه، إلا أن يد الثورة كانت أسرع وأصوب، حيث كان البطل محمد صبايحي يترصده، مُسددًا صوبه، ويتابع حركاته المشبوهة من وراء صخرة، لا تبعد سوى أمتار عن الحاجز، وهنا علت صيحة تدوي بنداء، الله أكبر، متبوعة بصلية حادة من سلاحه، فأرداه قتيلا في حينه، وتعرض المعلم لإصابة قاتلة، هو الآخر، بينما أصيبت زوجته بجراح خفيفة، وكانت الأوامر لا تطلقوا الرصاص، إلا على مصادر النار، تلك هي أوامر الثورة التي نُفِّذَت؟!

وفي كلمة التأبين، التي ألقيت على جثمان القتيلين، من قبل حاكم آريس، الذي ستكَنَهُ الخوف، توعّد وبلهجة ماكرة المجاهدين بالإنتقام، وذلك بغرض التخفيف من الهلع والرعب الذي سكن أعوان الإستعمار، منذ أن وصلت إلى طبلات آذانهم، أولى الأخبار المبشرة (المنذرة) بانطلاق الثورة المسلحة، مما أقلق راحتهم، وأنغص عيشهم، وجعل مستقبلهم محاط بعلامات استفهام كبيرة ملغمة، لا سيما بعد أن عرفوا من مقتل العميلين المذكورين، عزم المجاهدين وإصرارهم على السير قُدُمًا، مهما كانت التضحيات من أجل تحرير الجزائر، أرضا وشعبًا.

---

1) نذكر بعض الحكام الذين توالوا على دائرة (حوز) آريس، وهم: ريغال، ميسكاتيلي، فيري، [illegible] وآخرهم ري، الذي أقصي مباشرة بعد اندلاع الثورة.



النصب التذكاري، للعملية الأولى في الثورة المسلحة.

البيان الأول

أفاق العالم صبيحة اليوم الأول من نوفمبر 1954م على صوت حاولت فرنسا الاستعمارية خنقه، غير أن أصداءه كانت أقوى من كل محاولات التحطيم، لقد كان ذلك إيذانا باندلاع الثورة المسلحة، فترددت أصداء البيان، ورددت الآفاق صوت المجاهدين الأحرار:

يا فرنسا قد مضى وقت العتاب ... وطويناه كما يطوى الكتاب

فاستعدي وخذي منا الجواب ... إن في ثورتنا فصل الخطاب

بيان فاتح نوفمبر ١٩٥٤

أيها الشعب الجزائري

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية

أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا – نعني الشعب بصفة عامة، والمناضلين بصفة خاصة – نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان[1] هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة، التي دفعتنا إلى العمل بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي، ورغبتنا أيضا، هو أن نجنبكم الإلتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملائها الإداريون، وبعض محترفي السياسة الإنتهازية.

فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الحركة الوطنية – بعد مراحل الكفاح – قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فإذا كان هدف أي حركة ثورية – في الواقع – هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل، أما الأوضاع الخارجية، فإن الإنفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي، وخاصة من طرف إخوتنا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي تمثل بعض مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا، ومما يلاحظ في هذا الميدان فإننا منذ مدة طويلة كنا أول الداعين إلى الوحدة في العمل، هذه الوحدة التي لم يتح لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

1) كانت فكرتي، أن أكتب مقتطفات من البيان، لكن وجدت أنه متكامل الجوانب، ومن باب الفائدة التاريخية والأمانة العلمية، أن أورده، كما هو، خاصة وأنني وجدت بأن معظم الذين كتبوا البيان مغاير للأصل أسلوبا ومعنى، شكلا ومضمونا، وعليه فإني أقدمه للإطلاع والتصويب.

إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب، فإننا نتعرض الى مصير من تجاوزته الأحداث، وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها، محطمة ،نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء، ومحرومة من سند الرأي العالمي الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار، يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية[1].

إن المرحلة خطيرة.

أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلا، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين،التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لا تزال سليمة ومصممة،أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه، صراع أغلب الأشخاص، والتأثيرات لدفعها إلى المعركة الثورية الحقيقية، إلى جانب إخوانتا المغاربة والتونسيين.

وبهذا الصدد، فإننا نوضح بأننا مستقلين عن الطرفين اللذين يتنازعان عن السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة، ولذلك فهي موجهة فقط ضد الاستعمار، الذي هو العدو الوحيد الأعمى، الذي رفض أمام وسائل الكفاح السلمية، أن يمنح أدنى حرية.

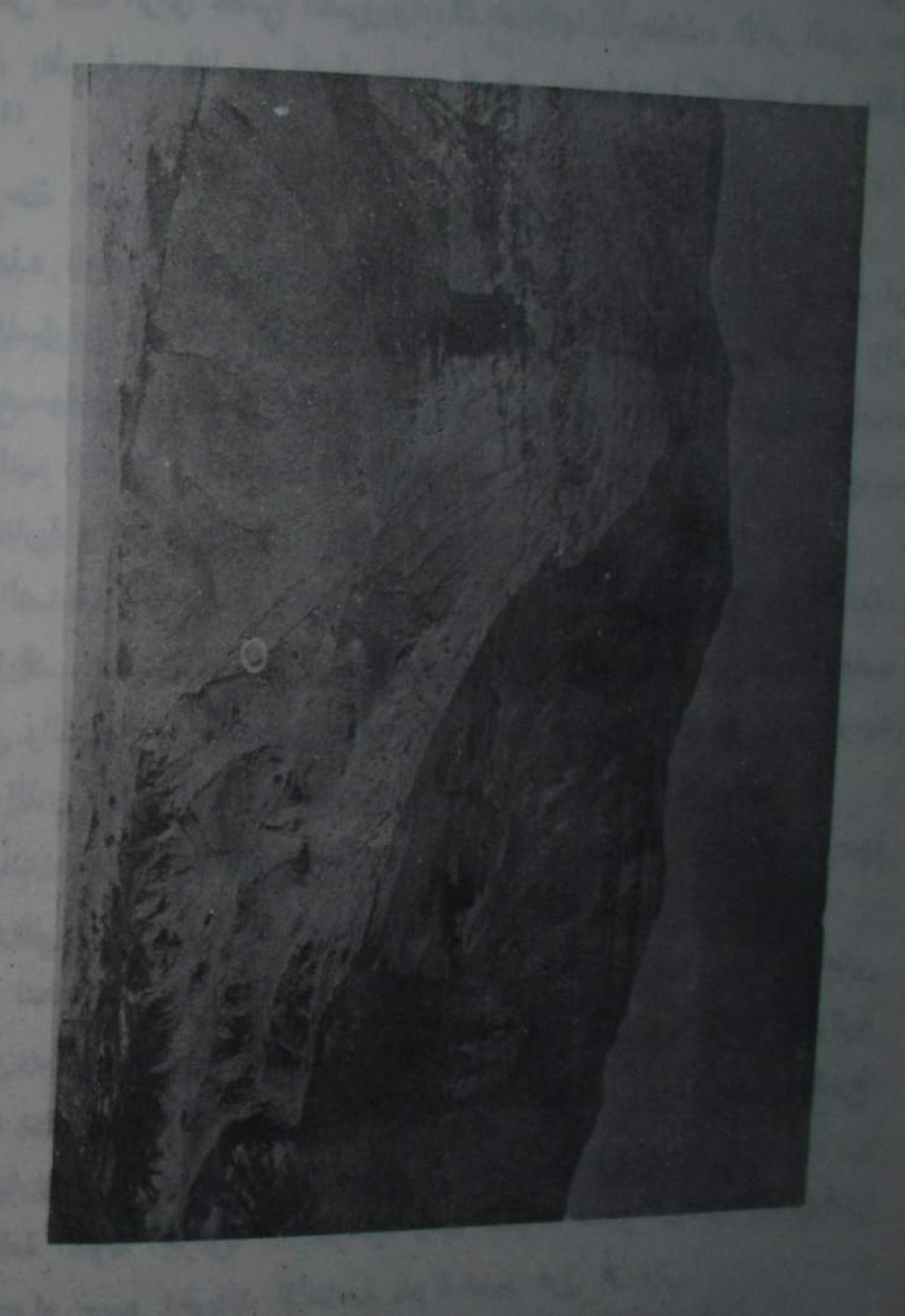
ونظن أن هذه أسباب كافية لجعل حركتنا التجديدية، تظهر تحت اسم: جبهة التحرير الوطني.

وهكذا نتخلص من جميع التنازلات المحتملة، ونتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين، من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية الفرصة أن تنظم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر، ولكي نبين بوضوح هدفنا، فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي.

١ – إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية ذات السيادة ضمن المبادئ الإسلامية.

٢ – احترام جميع الحريات الأساسية بدون تمييز عرقي أو ديني.

1) انظر: ،الطريق الى نوفمبر، محاضرة الأستاذ محمد الطيب العلوي، جبهة التحرير وبيان أول نوفمبر، المجلد الأول، ج/1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 159 - 181.



من جبالنا طلع صوت الأحرار

الأهداف الداخلية:

١ – التطهير السياسي، بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلفنا الحالي.

٢ – تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

الأهداف الخارجية:

١ – تدويل القضية الجزائرية.

٢ – تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.

٣ – في إطار الأمم المتحدة، نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية[1].

انسجاما مع المبادئ الثورية، واعتبارًا للأوضاع الداخلية والخارجية فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها، يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد، وهما: العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين وهذه مهمة شاقة ثقيلة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية وحقيقة أن الكفاح سيكون طويلا، ولكن النصر محققا، وفي الأخير وتحاشيا للتأويلات وللتعليل على رغباتنا الحقيقية في السلم، وتحديدا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعددنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تحدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها:

١ – الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية، متجاهلة التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

1) طالع: المسيرة، مسيرة الشعب عبر ملايين الشهداء، الفصل الخامس الثورة تحدد أهدافها، مطبوعات قسم الدار والتوثيق 1979، ص 127 - 135.

٢ - فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري، على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

٣ - خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق جميع المعتقلين السياسيين، ورفع كل الإجراءات الخاصة، وإيقاف كل مطاردة، ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل:

١ - فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية، والمتحصل عليه بنزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

٢ - جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر، يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية، ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية، وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين، بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

٣ - تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر، وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري، إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنظم إليها لإنقاذ بلادنا، والعمل على أن نسترجع له حريته، أن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك، أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبريالية، فإننا نقدم للوطن أنفس - أغلى - ما نملك.

فاتح نوفمبر ١٩٥٤

الأمانة العامة

أعداء الجزائر

انفجرت الثورة، وأدخلت الرعب الشديد، والفزع الكبير، في قلوب الفرنسيين وأذنابهم، وفقدت حكومة باريس رُشدها، وصارت تحسب للثورة ألف ألف حساب، نتيجة لكبر حجم المفاجأة، التي لم تكن منتظرة.

لقد أصيبوا بصدمة عنيفة، لم يتحملوا وقْعَها، بل جنَّ جنونهم ولم يحاولوا أبدًا، فهم الداعي لهذا الإنفجار الهائل، ولم يفكروا إلا في استعمال القوة والضغط، وإرسال المزيد من قوات الشر والمكر والعدوان.

ومباشرة اتخذ الحاكم العام للجزائر (روجي ليونارد) تدابير عاجلة للقضاء على الثورة في مهدها، قبل أن تفرخ وتعم، وَوَضع رئيس الجمهورية (روني ماير) تحت تصرف وزير الداخلية (فرانسوا ميتران) كل ما من شأنه القضاء على الثورة بأي وسيلة وثمن.

وأيا كانت الأمور، فإن (ميتران) يقرر في (27 - 30 نوفمبر 1954) بعد رحلة تفقد أثنائها منطقة الأوراس في مشونش وبسكرة: «إننا سنعمل كل ما في وسعنا، لنشعر الشعب الجزائري، وهو جزء لا يتجزأ من الشعب الفرنسي، إنه في وطنه مثلنا وبيننا»[1].

وفي اليوم الذي أدلى فيه (ميتران) بالتصريحات السالفة، صدر قرار يخول الجيش حق الاستيلاء قسرا على حاجاته في أنحاء الجزائر كافة، ثم إرسال قوات من الحلف الأطلسي[2] إلى الجزائر بأمر من الجنرال (جروثير) وأخذ سلاح الطيران، يلقي على

1) La depeche N 16. 136, mardi, novembre 1954.

2) الحلف الأطلسي: منظمة عسكرية، أنشئت بمقتضى معاهدة تعرف باسم ميثاق شمال الأطلسي، ووقع على هذا الميثاق في 1949: الولايات المتحدة الأمريكية، بلجيكا، كندا، الدانمارك، فرنسا، إيسلندا، إيطاليا، لكسمبورغ، هولنده، النرويج، البرتغال، وبريطانيا، ثم انضمت إليه اليونان وتركيا وألمانيا الغربية، ومن المبادىء الرئيسية لهذا الحلف: اعتبار الهجوم المسلح على أي منها هو هجوما عليها جميعا.

عقداء العدو

زَجّ المستعمرون الفرنسيون، بعد انطلاق شرارة الثورة من الأوراس، بآلاف السكان في معسكرات «الموت البطيء» التي أقاموها في العراء، خصيصا للتنكيل والتعذيب، حيث يساق لها الأطفال والنساء[1] والشيوخ، ليواجهوا قسوة الجوع والأوبئة والأمراض الفتاكة.

إلا أن مجريات الأحداث لم تكن كما خطط لها جنرالات الظلم، وأرادها عقداء العدوان، ومن ورائهم الغرب الشرّير، الشره للدماء، المتحفز للافتراس، المتربص للعدوان، بل وجدنا العمليات البطولية التي نفذها أبطالنا، أحدثت الارتباك والتخلخل في قوات العدو، مما جعل ساسة وقادة فرنسا، يتابعون الوضع العسكري بكثيرٍ من القلق والخوف.

وقد حدثت هزات عنيفة، عصفت بحكومة (منديس فرانس) في جانفي 1955 وقامت أزمة وزارية حادة، جاء بعدها (إدغار فور) بسياسة تعتبر أن الجزائر تؤلف وحدة سياسية مع فرنسا، وعُيِّن (جاك سوستيل) واليا عاما، وحدث في 15 جانفي أن كان في بسكرة، للوقوف على تطورات الأحداث، التي أخذت منعطفا خطيرا ليهدد مصالح فرنسا، ويقضي على عملائها، فأصدر أوامره الصارمة، بالقضاء على الثورة، بأي ثمن، إلا أن انتصارات جيش التحرير، تضاعفت، وانهزامات جيش الاستعمار، توالت وتعاقبت.

1) في قرية تيفلفال التي تقع على بعد (37) كلم. من مشونش طريق آريس أقامت فرنسا سجن رهيب خصص للنساء في الأوراس، زوجات وأمهات وبنات وأخوات المجاهدين، وكانت لنا وقفة على دهاليزه وزنزاناته، التي تبعث في النفوس تلك القشعريرة الباردة، وتذكر نوع الرعب الذي كان يسلط على حرائرنا، وقد التقيت بمواطن ولد في السجن نذكره: عبد الحميد عماري (المحابسي) نسبة الى الحبس، أي السجن، وقد ولد في يوم 16 مارس 1960 ، ونذكر بعض النساء اللواتي قضين مدة في السجن حيث تعرضن لعذاب، لا سبيل إلى وصفه هنا، وهن: علجية خلدي، فطيمة صايفي، الشيخة هدية، فطيمة زغلودي، أم السعد بن رحمون، فاطمة برسولي، منصورة خلدي، جمعة ميموني، فاطمة بن زروال، جمعة سليماني، زرفة يحيى، فاطمة سليماني، عائشة مفتاح، فطيمة بلعايش، العطرة بخلف وزوجة وأبناء المجاهد علي بلحاج بن جديدي، الذين قتلوا عن آخرهم في السجن.

M. François MITTERRAND à M'Chounèche et Biskra

96 deva[...]

Ils s[...] de tent[...] et d[...]

جريدة لادباش 30 نوفمبر 1954



Dans le décor majestueux des djebels, devant l'infirmerie où les goumiers résistèrent à l'assaut terroriste, le ministre de l'Intérieur prononce son allocution.

SUITE DE LA PAGE 1

[...]tre, de M. Pierre Dupuch, préfet de Constantine, M. le préfet Jean Vaujour, directeur général de la Sécurité générale ; des généraux Cherrières, Spillmann et Morin ainsi que de nombreux élus, salue longuement l'étendard du goum et passe ensuite sur le front du détachement.

Après s'être entretenu avec M. l'administrateur Holstein, le Ministre de l'Intérieur reprend la route vers Biskra et M'Chounèche.

A M'Chounèche

Selon ses propres mots, « c'est une sorte de pèlerinage » que vient accomplir ici M. Mitterrand. Dans ce site grandiose, au pied de ces gigantesques murailles d'où des pierres poussiéreuses plongent vers une magnifique palmeraie baignée par un oued, la poudre a parlé. Au soir même de son investiture, les terroristes voulaient « avoir » le nouveau caïd. C'était un défi à la France. On sait avec quel héroïsme le lieutenant Maouri et ses neufs goumiers le relevèrent.

Au pied d'un grand mât, où flottent les couleurs françaises, le lieutenant Maouri a rassemblé ses hommes. Le successeur du capitaine Saddock, enveloppé dans son éclatant burnous rouge, la poitrine constellée de décorations, va être aujourd'hui à l'honneur. M. Mitterrand, en effet, lui annonce qu'à compter de ce jour, il est titularisé dans ses fonctions de caïd.

Le Ministre fait une halte à l'école, où il tient à féliciter l'instituteur M. Lhote, puis se rend sur un chantier où 115 chômeurs de M'Chounèche ouvrent dans l'immensité du djebel une piste de 35 kms qui doit aboutir au douar Ouarche [...] la France, fidèle à sa mission [...]

du douar, le ministre précise que l'autorité, dans sa mission pour le rétablissement de l'ordre, saura éviter les mesures collectives.

« Mais il faut, dit-il, que cette population comprenne qu'elle doit nous aider. Nous éviterons tout ce qui ressemblera à un état de guerre. Cependant, la justice frappera avec rigueur les coupables, car la rigueur ici c'est la justice ».

En faisant appel à la volonté des populations, volonté qui doit triompher des fauteurs de troubles et de leur propagande, le ministre conclut par ces mots :

« Là où la volonté existe, la France — la liberté, l'égalité et la fraternité qu'elle représente — continue. »

Auparavant, M. le député Bengana, au cours d'une brève allocution, avait estimé que « le parlement et le gouvernement devaient répondre d'une façon catégorique » aux manifestations subversives.

« Il ne saurait être question de porter atteinte à l'unité nationale, dit le député de Constantine. La population musulmane veut vivre dans le cadre de l'unité française ».

M. Hirtz, administrateur de la commune mixte de Biskra avait, quant à lui, évoqué les événements dont M'Chounèche fut le théâtre. Depuis le 8 novembre, la vie reprend lentement. Il y a encore un gros travail d'assainissement à accomplir.

Départ de Biskra

A Biskra, où le cortège ministériel arrive en fin de matinée, M. François Mitterrand s'entretient au [...] de la commune mixte avec M. [...] l'administrateur Hirtz [...]

Les maires d'Oranie demandent :

1°) Le renforcement de la gendarmerie et de ses moyens.

2°) L'extension des services de police.

3°) La mise en place du plan de protection civile, en particulier l'étude, avec la Fédération des maires, en vue de la création d'un réseau de télécommunications.

4°) Le jugement au chef-lieu des criminels.

Les obsèques de Guy MONNEROT à Limoges

Limoges. — Les obsèques du jeune instituteur limousin, M. Guy Monnerot, assassiné le 1er novembre en Algérie par les hors-la-loi, ont eu lieu ce matin à Limoges. [illegible]

LE BE[...] ont r[...] de pre[...]

[illegible]

عاد الوالي العام في (20 ماي 1955) إلى الأوراس برفقة ممثلين من وزارة الدفاع والداخلية للإشراف، وتولي تسيير العمليات العسكرية في المنطقة، بقيادة الجنرال (شاريير) القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر، والجنرال (بارلانج) القائد العسكري والمدني في الأوراس، ومقره باتنة[1]، والكولونيل (دوكورنو).

وعليه، فقد عززت فرنسا قواتها القارة في الأوراس والمتواجدة في بوابة الصحراء، بسكرة، بفرقتين من الفرق التي يُعتمد عليها في البطش والتدمير، وهي فرقة اللفيف الأجنبي، وفرقة الطابور المغربي[2] التي استقرت في مشونش، وقامت القوات الفرنسية بأول تجربة عسكرية في الحرب النفسية، للتأثير على معنويات السكان، وذلك بإنشاء مكتب ضباط الشؤون الأهلية (S.A.S) وأنيطت المهمة المدنية للجنرال (بارلانج)، وقد خَوَّلَهُ رئيس الجمهورية، جميع الصلاحيات، التي تمكنه من إخماد أُوّار الثورة، بكل الوسائل وشتى الأساليب. ووضعت تحت تصرفه، قوات متكونة من خليط متعدد الوظائف والمهات والمسئوليات، ففيها: العسكري، الشرطي، الدركي، الحرس، الوحدات الإقليمية للمعمرين[3]، الحركى، العملاء، جهاز ضباط الشؤون الأهلية، أعوان مصالح الجوسسة، المخابرات، اليد الحمراء[4]، فرق القمع والإبادة، ومجموعات حرب الأعصاب النفسية في المحتشدات والمعتقلات والسجون[5].

1) مقر المنظمة الوطنية للمجاهدين حاليا.

2) أرى أن أوضح أن فرنسا أحضرت عشرة طوابير من الجيش المغربي، وكل طابور يعتبر فيلقا، لزجهم في قمع الشعب والقضاء على الثورة، ووزعتهم على المناطق: آريس، باتنة، خنشلة، وبسكرة، وفي صيف 1956، رفضوا جماعيا المشاركة في الحرب، وأمر الجنرال (بارلانج) سحب السلاح منهم، فرفضوا تسليم أسلحتهم وطلبوا العودة الى المغرب، وفعلا ركبوا القطارات ولما وصلوا إلى سيدي بلعباس، حاصرتهم قوات اللفيف الأجنبي لتجريدهم من أسلحتهم، ووقعت بين الطرفين مشادات عنيفة، ولم يسلّموا أسلحتهم، وعادوا إلى المغرب، وقد التحق بعضهم بصفوف جيش التحرير بناحية خنشلة وآريس.

3) بعد اندلاع الثورة أصبحت ضيع المعمرين مراكز للتعذيب، لأن ساكنيها كانوا من غلاة المجرمين، الذين تفننوا يلفانهم وقد أشرفوا على عمليات التعذيب والتنكيل والتقتيل.

4) اليد الحمراء: قوة إرهابية غير مراقبة من البوليس والجيش الفرنسي، وتجد كل الدعم المعنوي والمادي من قبل السلطة الفرنسية.

5) طالع، الفرق بين المحتشد والمعتقل والسجن في موضوع المعتقلات في الجزائر، أثناء الثورة التحريرية ودور ضباط الشؤون الأهلية (لاصاص) في الحرب النفسية داخل المعتقلات، الأستاذ محمد الطاهر عزوي، مجلة التراث، العدد 3، دار الشهاب للطباعة والنشر «باتنة، 1988، ص 73 - 135.

لقد أدركت القيادة الفرنسية، حماس الشعب واحتضانه للثورة الفتية، وعليه فقد قام جنرالاتها بحملات واسعة (لسحق الثورة) واشتركت في هذه العمليات، عشرات الآلاف من قواتها الشرسة، تعززهم الطائرات والمدفعية، واعتقلت مئات الأبرياء من المدنيين، وزجت بهم في المعتقلات الرهيبة، ليظهر بذلك ضباط فرنسا شجاعتهم التي فقدوها في الميدان، ولتنطلق كل الفرق المسلحة وتتعاون في إطلاق النار على العزل بدون تمييز، أو تحقيق ليسقط الشهداء والجرحى[1] والأطفال[2] والشيوخ[3]، ثم تبدأ عمليات التفتيش والإعتقالات، من قبل أعوان وجهاز المخابرات المدنية والعسكرية ومكاتب الشؤون الأهلية، التي لا تتورّع في استخدام أقسى أنماط الأساليب النفسية والجسمية، التي تجعل السجين في أحايين كثيرة، مفصولا عن انسانيته، مندمجا في فصيلة لا تمتُّ بصلة بكل ما يجعله بشرا من جراء ما يصب على مَسْمَعه من أقوال احتقار، وبذاءة وسفالة، وما يتعرض له من أهوال وعقوبات حمقاء.

1) جرحى المجاهدين، مصيرهم الإعدام بدون إمهال، أما المدنيين، فتتضاعف اصاباتهم نتيجة التعذيب، والكثير يلقون حتفهم.

2) إليك أخي القارىء، هذه الصورة عن المحرقة المروعة التي حدثت في ناحية مشونش (لولاش) حيث قام العدو بمساعدة عملاء مغمورين بملاحقة عائلة المجاهد البطل رمضان حسوني، وأثناء العملية، ألقي القبض على كثير من الأقارب، وهنا قام السفاحون بإضرام النار في بيت كبير، وبدأت العملية بإلقاء الرجال في النار المتأججة، وهم أحياء، أمام مرأى من أطفالهم ونسائهم، ونذكر بعض هؤلاء الشهداء: الصالح حدنانة، الصالح دلولي الشريف بوملان، الصالح سيفونة، محمد براهيمي، بلقاسم بزقراري، محمد الطاهر جعرة، ومحمد الصالح شابوزي. الراويان المشاهدان: العربي حسوني، السعدي جعرة.

3) حدث أيضا، أن قدم شيخا من الجبل الى ابنه، وعندما حان المغرب، خرج من البيت لتأدية الصلاة، أثناءها، كان العلم الفرنسي ينزل، ويعني الوقوف الإجباري للجميع، إلا أن الشيخ، استمر في تأدية الفريضة، فما كان من حارس الثكنة، إلا أن أطلق عليه النار من مدفعه الرشاش، لأنه لم يتوقف أو يستعد ؟!.



التعليمات السرية

منذ تأسيس المكتب الثاني والخامس، ومكاتب الشؤون الأهلية (S.A.S) ركّزت أجهزة هذه المكاتب، نشاطاتها، للتأثير على معنويات المساجين في المعتقلات والمحتشدات، وكانت عمليات غسيل الدماغ من الأعمال التي يباشرها الجلادون أعمالهم، والتي يمارس فيها تجار الموت، آخر ما توصل إليه عملاء الإجرام من درجات التفنن في أنواع التعذيب والإرهاب.

ويحدث أن تجري عملية غسيل الدماغ بشكل مكثف، ولمدة قد تقصر أو تطول وقد أدت عمليات التعذيب، المرافقة لعمليات غسيل الأدمغة، إلى انتزاع البراءة من البعض، كما أدت إلى إصابة الكثيرين بالأمراض والكسور المضاعفة، نتيجة وسائل التعذيب الرهيبة، التي لا يمكن وصفها، لأنه لا يمكن أن تصدر من آدمي له عقل يفكر، وقلب تقطنه الرحمة!.

وهناك تعليمات سرية في هذه المكاتب وهامة جدا، يُزود بها الفرنسيون في مكاتب التعذيب النفسي والجسمي، وهي أوامر صارمة، والخروج عنها، معناه الوقوع بين مخالب المحاكم العسكرية، التي لا ترحم إلا بالرصاص، وهذه التعليمات يجب أن تنفذ على جميع الجزائريين بدون استثناء، لأنه يجب، أن يدركوا، بأنهم أنقص عقلا، وأقل شأنا من الفرنسي الأوروبي، وأن يعلموا بأن الفرنسي الذي ينحدر أصله من شمال افريقيا (الجزائر) يتصف بالصفات التالية (في نظر الفرنسي):

1 – من الناحية العاطفية:

– اندفاعي – متطرف في كل شيء، ردود فعله حادة ومفاجئة، يمتلك متناقضات كبيرة في الشخصية (شجاعة، فوضى، حيوية، خمول).

- عفوي ولا شعوري – أي أن أي عاطفة أو رغبة جديدة تحتل نفسه، وتقضي على كل شيء ما عداها.

- جماعي – تحتل الصفة الجماعية في عمله وتصرفاته، أهمية أكبر من الصفة الفردية.

2 – لا عقلاني – قادر على التفكير، ولكنه لا يعطيه أية قيمة، لا يبحث عن معرفة سبب الشيء، وماهيته، ولا يفسر مثلنا العلاقات السببية، ومن ثم جاء تواكله على الأقدار، وهو يدخل دائما العناصر الغيبية في نظرته إلى تكوين الكَوْن ومسيّره.

- سريع التصديق – لا يبحث عن تفسير الأشياء، وهو ينتظر أن تأتيه الحقيقة من الخارج كيفما كانت (دينية أو سياسية) وهو يقبلها أو يرفضها بالجملة، ودون مناقشة (فمثلا ما يتناقله العرب من شائعات رائجة، حيث يصدقون كل شيء بدون نقد).

3 – معلومات نسبية عن الوسط البشري: يجب الإلحاح على الاتجاه الطبيعي لدى الفرنسي باعتبار العقلية المسلمة في درجة أدنى من عقليتنا، وهذا ناتج عن معرفتنا السطحية للفرنسيين المسلمين، التي تؤدي إلى أخطاء فادحة في تقدير الأمور، ويجب كذلك التأكيد على خطورة هذا الخطأ الفادح، فالمسلمون الفرنسيون ليسوا بدائيين، لأن لديهم ديانتهم ومبادئهم الأخلاقية، وحضارتهم المختلفة من حضارتنا، ويجب إذن، بذل جهد كبير لفهمهم.

وعن طريق الأسئلة الخاصة، يجب أن نذكر الجنود الجدد بالخصائص الرئيسية لعقلية الفرنسيين المسلمين، وبالنسبة لكل صفة خاصة، يجب أن نستخلص النتائج الناجمة عنها.

الصفات الرئيسية:

- إنه يحب العدل، ويعتبر دائما أنه مظلوم، وإذن: يجب العدل معه، وتحطيم كل شعور يصنفه بأنه فرنسي من الدرجة الثانية، ويجب تفادي أي تمييز يمكن أن يشعره بأنه ضحية لاعتبارات عنصرية.

- حبه للربح – إذن، يجب التصرف معه، بحيث لا يستطيع أن يقدم أية طلبات.

- إحساسه بالكرامة والمهابة – إذن يجب السلوك معه بما يناسب الكرامة. وهو فخور وأحيانا متعال، إذن، إجادة تقديره وشكره، دون إظهار روح الدعاية المتشبعة بالتفوق ويجب عدم التعرض لعاداته الخاصة.

- تشككه – لا يحتمل السخرية ويعتبرها شتيمة، إذن، يجب تفادي الهزل، واستعمال الكلمات البسيطة التي يفهمها (فإن كلمة غير مفهومة، يمكن أن تجرح عواطفه واعتزازه بشخصيته)".

- غريزته الدينية – إذن، يجب احترام عواطفه الدينية، إيمانه بالقوى الغيبية، إذن، لا تبحث عن فهم تصرفاته على أساس عقلاني بحت.

ذاكرته خارقة للعادة، وهي تقلل من قدرته على التفكير، وتحدد أفق خياله، إذن، يجب تفادي ما يمكن أن يعده مساسا بشخصيته، وتغذي حقده.

- شعوره بقوة السلطة – إذن، يجب إظهار السلطة الحقيقية القائمة على العدالة، ويجب تفادي التصرفات التي تدل على الألفة التامة[1].

إن الفقرات السابقة، مقتبسة من نصوص التكوين المدني والمعنوي للجيش، المستعمل في تدريب ضباط الشؤون الأهلية (S.A.S)، وقد نشرت من طرف مكاتب الدفاع الوطني، المكتب الخامس.

1) نقلا عن مجلة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني. العدد 36، 6 جانفي 1959، ص 8.

المهام الصعبة

كان على قادة الثورة، مواجهة هذا الموقف الصعب، المترتب عن دفع فرنسا بكل ثقلها السياسي والعسكري، لمواجهة ومحاربة جبهة وجيش التحرير الوطني، ومتابعة المجاهدين في الجبال والصحراء، وملاحقتهم حيث الثورة.

في أواخر شهر ماي 1955 تم اجتماع قادة الأوراس بالجبل الأزرق في المكان المسمى «تاغروفت» في الوقت الذي كانت فيه حملة شرسة يقودها الجنرال (جيل) وهي داخلة ضمن مخطط المنظار (Jumelle) الذي وُظّف لعمليات التمشيط من جبال أولاد نايل إلى جبال بني فرح بالأوراس حيث زُجّ بقوة تقدر بـ (5000) عسكري، يقودها عدد من العقداء وضباط من مختلف المراتب، مدججين بأحدث الأسلحة الفتاكة، ومعززين بالمصفحات والدبابات والطائرات المختلفة الأنواع.

على الرغم من هذه السموم التي تنفثها فرنسا، من آونة لأخرى، لتقوي بها عزيمة مقاتليها، الذين لم يعودوا يمتلكون من صفات الإنسانية سوى جلودهم، فإن ذلك لم يُجْدِ في قهر أبطال الثورة، وفي ثني عزائمهم الفولاذية، وإرادتهم التي لا تلين، بدليل أن سجل انتصاراتهم المتوالية، كانت تزداد أوراقه بمرور الأيام، ومع اشتداد المعارك لتسجيل البطولات الباهرة على قوات العدو وحلفائه.

انعقد اجتماع أبطال أوراس النمامشة، الذين دوّخوا جنرالات فرنسا، وكلهم عزم وإصرار على مطاردة ومقارعة المعتدين، ونذكرهم بكل فخر واعتزاز، وهم: سي الحواس، عباس لغرور، الطاهر غمراس (النويشي)، الحاج لخضر، عمر بن بولعيد، المسعود بن عيسى، مدور عزوي، علي بلحاج، المسعود بلعقون، أحمد قادة، الحسين



الشيخ على أهبة الاستعداد لخوض معارك الشرف والكرامة

برحايل، محمد الشريف بن عكشة، عمار بلعقون، محمد بن المسعود بلقاسمي، الحسين عبد السلام، الصادق جغروري، محمد حابة، أحمد نواورة ومحمد بن بولعيد[1].



المجاهد البطل الشهيد
أحمد نواورة
(1920 - 1959)

1) في هذه الفترة، كان القائد مصطفى بن بولعيد يواجه حكم الإعدام، في سجن الكدية بقسنطينة.

وفي هذا الاجتماع، تقرر أن يتولى سي الحواس قيادة المنطقة الثالثة[1] من الولاية الأولى، وتقرر أن يتولى عباس لغرور والحسين برحايل، قيادة ناحية خنشلة، ويتولى محمد ابن المسعود بلقاسمي، مهامها بمشونش، وتقرر انتقال عمار بلعقون وأحمد نواورة من ناحية خنشلة إلى ناحية آريس.

1) المنطقة الثالثة من الولاية الأولى (أوراس - النمامشة) تتكون من النواحي التالية، وهي:
- الناحية الأولى: مشونش، تضم أربع قسمات، تمتد من سيدي عقبة جنوبا، الى القنطرة شمالا، بالإضافة الى الجهة الشرقية من مدينة بسكرة.
- الناحية الثانية: بسكرة، وتضم أربع قسمات، تبدأ من الشارع الرئيسي (حاليا، الأمير عبد القادر والحكيم سعدان) وشرق المدينة الى مدينة المغيّر جنوبا، والى مدينة سيدي خالد غربا، ومدينة طولقة شمالا.
- الناحية الثالثة: بوسعادة: وتضم، أربع قسمات كذلك.

دورية الجبل

بعد أيام من اجتماع ماي التاريخي، انطلقت دورية من الجبل الأزرق، صوب جبل بني فرح، بطلب من القائد سي الحواس، الذي كان يتمركز بجيشه بين قريتي (مولية) و(عين زعطوط)، وكانت مجموعة الدورية، تتكون من المجاهدين: محمد المسعود بلقاسمي، الحسين عبد السلام، الصادق جغروري، أحمد حابة ومحمد بن بولعيد.

وكانت المهمة شاقة، إذ أن القوات الفرنسية، ظلت تحاصر الجهة بجيش عرمرم، في نطاق عملية تمشيط واسعة، تستهدف من ورائها القضاء على المجاهدين الذين توجهوا إلى جنوب وغرب ولاية الأوراس.

وكان مجاهدو الناحية في انتظار، الدورية التي ستحمل معها الكثير من المهام والأوامر، وكانوا على درجة عالية من القلق، حول مصيرها، خاصة، وأن طائرات المراقبة، قد ضاعفت من طلعاتها الاستكشافية في تلك الفترة أكثر من ذي قبل، إلا أن القائد سي الحواس، قد طمأن الجميع، بأنه خطط لكل ما يتعلق بدورية الجبل.

في ليلة مشهودة حالكة السواد، يقترب الأبطال من حارس الثغر[1] أو حارس الليل ويتأكد منهم، أنهم المرتقبون، بعد تبادل كلمتي السر[2].

---

1) الثغر: المكان الذي يخاف منه هجوم العدو.

2) كلمة السر: استعملت في الثورة بأمرين:
الأول – الإشارة القولية: وهو كلمة سرية، يتفق عليها مسبقا، يحصل بها التفاهم أثناء اللقاءات الليلية والمفاجئة.

الثاني – الاشارة المادية: عبارة عن قماش أو لباس يتفق على حجمه أو لونه مسبقا، وتكون له دلالة بين المسلبين وأفراد جيش التحرير الوطني.

قرية مولية (حاليا)

وبذلك أصبحت الجماعة، تحت حماية جيش سي الحواس، الذي تسلم الأوامر من قادة أوراس – النمامشة، وأنيطت له مهام سياسية وعسكرية، وكان الحدث الكبير، أن ظهر الرائد أحمد بن عبد الرزاق حمودة سي الحواس، لأول مرة بلباسه العسكري، متمنطقا مسدسه الشهير، الذي لا يخطىء أعداء الثورة، وقد كانت استعداداته تؤهله للقيادة العسكرية، ولم يلبث أن ألقى في الجموع المحتشدة خطابا معبرا ومؤثرا، نورد وبتصرف بعض ما ورد فيه على رواية بعض المجاهدين (**... إن واجبنا يفرض علينا أن نبقى أوفياء، جديرين بالتضحيات التي رضيتم بها، من أجل استقلال الجزائر، إننا في كل عمل قمنا به في حياتنا النضالية، كنا نهدف دائما إلى تحقيق مصلحة الشعب الجزائري، أيها المكافحون في جيش التحرير الوطني، بالمناسبة، نجدد لكم عهدنا، بأن نواصل السير في الطريق الذي رسمه أبطالنا، الذين أستشهدوا بشرف ليحيا بعدهم الوطن**).

زود سي الحواس، دورية الجبل الأزرق في نهاية اللقاء، بعتاد ومؤن و(250) مائتين وخمسين بذلة عسكرية، كانت بحوزته، وكلف دورية من مجاهدي بني فرح الأشاوس، لرفقة أبطال الجبل، وحمل وحراسة الأمانة الثقيلة، وإيصالها سالمة.

في تلك الروابي، وجبال بني فرح القاهرة للأعداء، كانت صولات مشهودة للمجاهدين، الذين كان لهم شرف الجهاد والتحدي في هذه البقاع، التي شهدت معارك طاحنة منها معركة (أورش مضاص) بعين تغاسرة، التي هُزمت فيها القوات الفرنسية شر هزيمة، ولا تزال أحداثها تروى بين الشيب والشباب، لأنها كانت بحق نصرا مؤزرا،لجيش التحرير، وهزيمة نكراء،لجيوش الشر والعدوان، وقد أستشهد فيها (72) إثنان وسبعون شهيدا، نذكر منهم الشهداء والأبطال اللاحقة أسماؤهم: لخضر بن ترابو، الصالح نزار، علي زرقان، السعيد بخوش، موسى ميزاب، سي الحسين بن عبد الباقي، الصالح كرميش، محمد قدوح، محمد بن بولعيد، أحمد خرشوش، لخضر



القائد سي الحواس
متمنطقًا مسدسه،الذي لا يخطىء الأعداء.

وزاني، علي بن واخير، علي ملال، محمد صغيرو، الوناس جاب الله، الحاج عمر العايب، السعيد عيساوي، محمد فلوح، عبد الرحمن أوراغ، شقيق شهيدتين سقطتا أثناء المعركة، وهما: زكية وَ وريدة أوراغ، عمار لحلوحي، أحمد بوممان، محمد بورك، عمار معاليم، بشير لمنافيخ، مختار قسمية، البشير بن حبرو، الطيب عزة، دحمان بودردابن، بلقاسم معطوف، الشريف ختنة، السعيد قاسم، بلقاسم شطوح، محمد بن واخير وعلي مزيان وغيرهم من الأبطال.

لقد قاوم هؤلاء الصناديد قوات العدو، التي كانت كالجراد المنتشر في زحفها، تتقدم بخطوات جنونية لا ترد، وبأيد متشابكة في صفوف زاحفة، ويرددون أصوات منكرة منفرة، وأناشيد تدل على التهور والغطرسة، ولا يطلقون النار.

وقد قال عنهم أحد المجاهدين، لما أبصرهم على تلك الهيئة، واصفا حالهم، قال: «تخالهم وكأنهم ليسوا ببشر، بل آلات تتحرك، نطلق عليهم النار، وكأننا نرشهم بالماء الفاتر، يسقط أحدهم، فيظهر غيره، إذن، ما الفائدة من قتل ثلاثين أو تسعة وتسعون، ويلق القبض على المجاهد حيا ؟؟.

إن قادتهم المغرورين، أوعزوا إليهم، أن الثوار في جبال الأوراس، انتهى حالهم، ولم يبق منهم إلا أنفارا فرادى، فقدوا كل قوة من شدة الحصار والخوف، وهم في حكم الموتى، لا يقدرون على الحركة، بل حتى على رفع أيديهم للاستسلام، من كثرة الأمراض وقلة التموين، وأنهم ينتظرون الضربة الأخيرة.

وما إن حل ربيع 1955، حتى كانت قبضة العدو تشتد أكثر فأكثر، ساعتها أدرك المجاهدون، أنه من الصعب جدا التصدي للأمواج المتناحرة، والتخلص من الحملات المسعورة، التي تتواصل لشهور ليلا ونهارا في كل بقعة يمكن وصولها في جبال الأوراس.

لقد وجهت فرنسا منذ اندلاع الثورة، قوات هائلة للمنطقة، ثم راحت تعزز تواجدها كل يوم، فأقامت المعتقلات والمحتشدات ومكاتب مصالح الجوسسة، وتوالت



الرامي المجاهد البطل يوسف بورناق

النجدات والتعزيزات، ولكن دون جدوى، فلجأت إلى التعذيب في البدء، بغرض جمع المعلومات، «الاعترافات» بأي ثمن أو أسلوب، ثم عم وأصبح التعذيب فنا يتبع، ونظاما عاما يسود.

إن التعذيب لم يكن من عمل صغار المسؤولين المنفذين، ومظاهره لم تعد من قبيل التعسف والتجاوزات، خلال عمليات الاستنطاق، بل أصبح مؤسسة قائمة بذاتها، وهذا بشهادة الجميع، ورسالة يومية تمارس على نطاق واسع، لبث الرعب وزرع الهلع بين السكان.

إن حرب التجويع القسري والحرق العمدي، وعمليات الإغتصاب، والتشريد الجماعي وقنبلة المداشر والقرى، وهتك الزرع والضرع، وغيرها من الممارسات اللاّ إنسانية التي تفنن فيها جلادو العدو، لا يمكن أن يأتي عليها قلم، ولا أن يحدها بيان، ولا يضمها كتاب أو مجلد، لأن عددها لا يحصى، ودائرتها لا تعرف مجالا مغلقا، وستبقى وصمة عار في جبين فرنسا، ونيشان خزي في صدرها، حتى وإن ادعت اسبقيتها التاريخية في رفع شعار (الحرية، الأخوة، المساواة) الذي ظل جامدا أثناء احتلالها للجزائر.

وإن ما نقرأه من الصفحات القادمة، من سطور دامية في وثيقة التعذيب بشهادة العسكري الفرنسي (جاك بيشو) والتي ترجمها الأستاذ عبد الكريم رمضان، ستظل دليلا دامغا، وبرهانا قاطعا على وحشية فرنسا في الجزائر.

الأوراس الصامد

ازدادت الثورة التهابا، وتركزت هجمات المجاهدين على القوات الفرنسية التي فقدت صوابها في الأوراس، وفشلت حملات القمع والإبادة، التي أشرف عليها الحاكم العام للجزائر (روجي ليونارد) الذي أعلن في لقائه بياتنة[1] مع السلطة المحلية، بأن: (تصفية المنطقة والقضاء النهائي على التمرد يتطلبان شهورا عديدة، بسبب ما نجده في المحيط من صعوبات).

وصرّح: (أن عدد الثائرين في الأوراس، ألف رجل، وأن الإمدادات اللازمة لإقرار الأمن والسكينة، نحتاج إلى أربعين ألف عسكري).

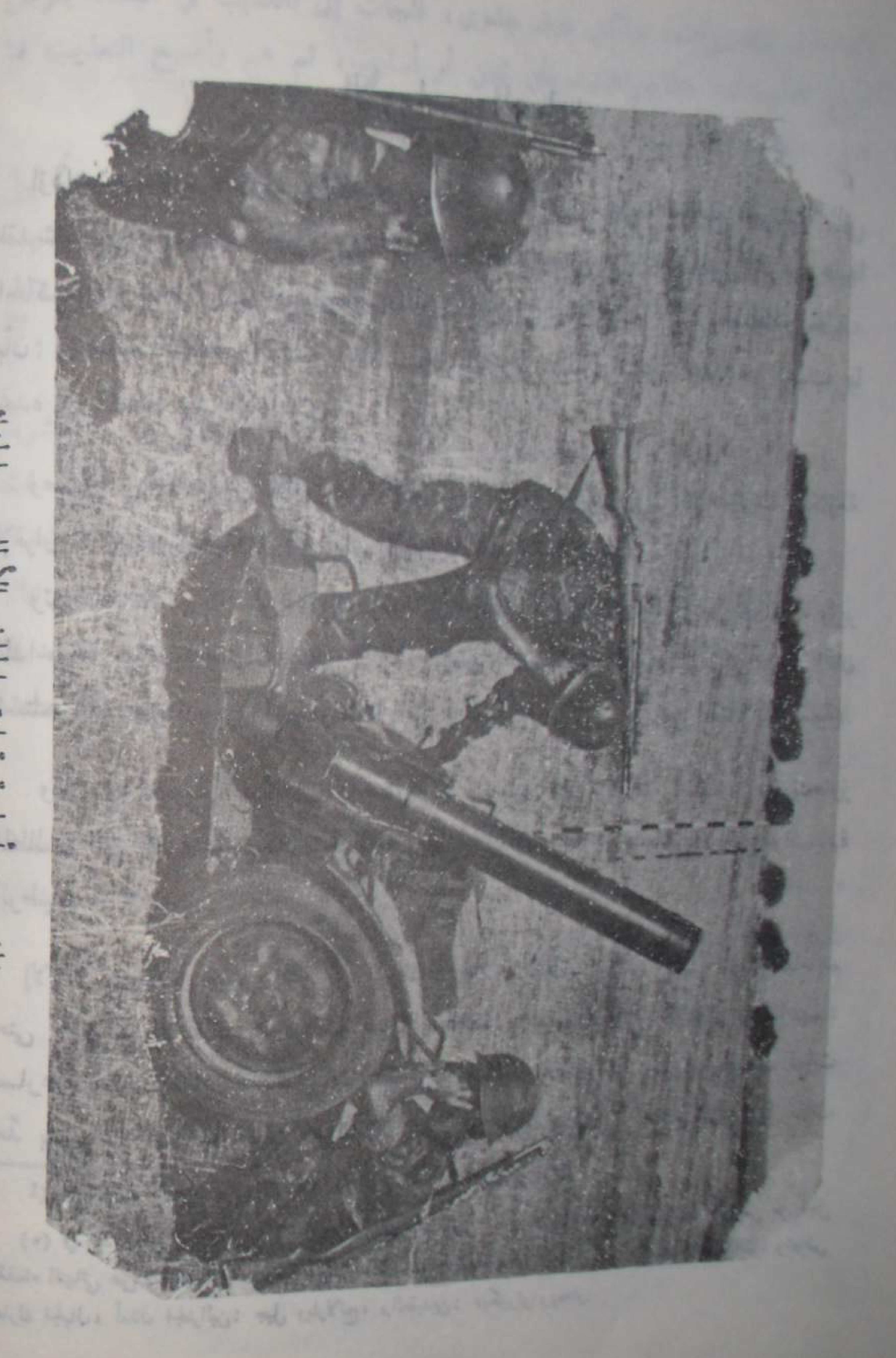
وتوالت انتصارات الثورة، وعجزت كل أسباب العدوان في التأثير عليها، فهذا وزير الداخلية، فرانسوا ميتران، يعلن: (أن التدابير العسكرية وحدها لا تكفي، فعلينا أن نستثمر أكثر من أربعين مليار فرنك، حتى يعلم كل جزائري أنه محل العناية الفرنسية).

وقال في تصريح آخر: (...والحكومة لا تستطيع ولا تريد أن تسمح، بأن تتجاوز المطالب التي يعرضها سكان الجزائر، بعض الحدود، مثل: وحدة الأرض والسيادة الوطنية).

إلا أن هجمات جيش التحرير، لم تترك هؤلاء البغاة الغلاة، يسترجعون أنفاسهم حتى باشرهم الأبطال بهجومات عنيفة صاعقة، أسقطت كل أقنعتهم وخداعهم، فسارعوا بطلب إمدادات وتجهيزات عسكرية إضافية للقضاء على الثورة، فقامت قوات تعدّ بعشرات الآلاف ضمن عمليات (فيوليت) و(فيرونيك)[*] اشتركت فيها مئات

1) وقع ذلك لاجتماع يوم 21 جانفي 1955 بمقر نيابة العمالة في باتنة.

(*) في 23 جانفي 1955 شرع في تنفيذ العمليتين الرهيبتين و حددت أهدافها بتمشيط الأوراس من أجل القضاء النهائي على (بقايا) الثورة، وقد أشرف عليها، ضباط لهم خبرة واسعة في ممارسة حرب العصابات، وخوض معارك الجبال، أمثال الجنرالين: جيل وبارلانج، والعقيدين: ديكورنو وبيجار.



نماذج من أسلحة قوات الحلف الأطلسي بالجزائر

المدرعات والدبابات والطائرات، ذات القنبلة الرهيبة، وطائرات الإنزال الضخمة، مستهدفة سكان القرى والمداشر وتدميرها، بما فيها، من بشر، وحيوانات، ومزارع، وكل شيء طالته الأيادي القذرة.

في شهر جانفي 1955 عُيّن السفاح (روبيرت لاكوست) وزيرا مقيما في الجزائر، وفي 15 فيفري تسقط حكومة (روجي ليونارد) ويعين خلفا له، مجرم الحروب (جاك سوستيل).

بمجيء (سوستيل) شهدت الجزائر فصولاً من الإرهاب والفضائع الاستعمارية، إذ سانده المعمرون، الذين زودهم بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم في حالة مهاجمة الثائرين عليهم، وشرع في تنفيذ ما من أجله عُيّن، فبعد أربعة أيام من وصوله، قام بجولات ميدانية للمناطق التي تستمر فيها الثورة، وصرح عند قدومه إلى الأوراس بقوله: (إن هذه المنطقة تشهد تزايدا ملحوظا في عدد السكان، والأرض لا تكفي، لذا نرى في هذه المنطقة حركة إرهابية، ويجب كسب الثقة بتطبيق إجراءات اصلاحية[1]: إدارية واقتصادية واجتماعية).

لاقت الثورة صعوبات جمة، بعد تحقيق أهدافها الأولى، وأصبحت المؤامرات والدسائس، تحاك وتنفذ جهارا نهارا على الثورة وأبطالها، ومما زاد الحالة وهنا إلقاء القبض على قائد المنطقة(٥) الأولى مصطفى بن بولعيد في يوم 12 فيفري 1955 واستشهاد قائد المنطقة الثانية، مراد ديدوش، في يوم 18 من نفس الشهر، الذي خلفه القائد الشهم يوسف زيغود(٥٥).

---

1) الاصلاحات: ارتفعت أصوات بعض السياسيين في الحكومة الفرنسية، تدعو الى القيام ببعض الاصلاحات بعد إخماد الثورة في زعمهم.

طالع بالتفصيل القانون الإطاري والسلطة الخاصة، الأستاذ مصطفى بوطمين مجلة أول نوفمبر العدد 90 - 91 مرجع سابق ص 30 - 33.

(٥) المنطقة: كان المصطلح المتفق عليه في بداية الثورة، وأصبح بعد مؤتمر الصومام 1956 يعرف بالولاية.

(٥٥) كان القائد يوسف زيغود، مرابطا في جبال الأوراس قبل اندلاع الثورة مع الأبطال: العربي دماغ العتروس، لخضر بن طوبال، رابح بيطاط، وسليمان بركات وآخرين.



ما أكثر هذه الأبراج، وما أسهل سقوطها، أمام ضربات جيش التحرير

أصيبت الثورة بضربات قوية وعنيفة نتيجة عمليات الإبادة، وحالات الحصار وتطبيق حالة الطوارىء، حيث أخذت عمليات المجاهدين، ضد مراكز ومنشآت العدو تتقلص شيئا فشيئا، وتكاثرت التساؤلات عن حقيقة مصير الثورة، ونشطت أبواق الدعاية الفرنسية في الداخل والخارج، تبشر بالقضاء على ما أسمتهم بالخارجين عن القانون وقطاع الطرق، وصفقت كثيرا، لاعتقال قائد الثورة وملهمها مصطفى بن بولعيد، ووزعت آلاف الأطنان من المناشير، تدعو فيها السكان للهدوء والتعقل، وأن فرنسا ستوفر لهم الشعير والقمح والأمن.

وفي 03 أفريل 1955 طبق القانون الإطاري على منطقة الأوراس لخنق الثورة، التي جعلت النظام العام في خطر، وكذلك الوجود الفرنسي في الجزائر، وفي يوم 28 أفريل 1955 ومع فشل هذا القانون أعلنت القيادة العسكرية تطبيقه على كل البلاد، وأحضرت فرقا شرسة من المظليين،المتخصصين في عمليات الحصار وحرب الجبال، وتضاعفت القوة العسكرية وكان همها الوحيد، محاصرة الثورة داخليا وحتى لا تتصل بالمشرق العربي[1]، وإحكام منافذ الحدود الليبية، التونسية والمغربية في وجه تزويد الثائرين بالسلاح والعتاد الحربي، وتضاعفت الحملات الكبرى، والاعتقالات الجماعية والزج بالمواطنين بالجملة في السجون الرهيبة،والمحتشدات الكثيرة، فكانت القوات الفرنسية، التي تواجدت في الأوراس في فترة خمسة أشهر، تعادل سكان الأوراس تقريبا، بل أكثر إذا قابلنا الرجال بالرجال؟!.

1) للتذكير، أن القائد مصطفى بن بولعيد، ألقي عليه القبض في الحدود الليبية وكانت وجهته القاهرة.

الهجوم العام

لم تحقق تلك العمليات الكبيرة – التي كان يعتقد أنها لا ترد – أهدافها في القضاء على تأجج الثورة، أو إرهاب السكان في أوراس – النمامشة.

وإلى جانب ما كانت تدفعه فرنسا من جهد عسكري ضخم، نظمت أجهزتها الإستعمارية حملة دعائية واسعة، لتمجيد المظليين وإرهاب السكان، وقد جاء في أحد المنشورات العديدة، التي كانت تلق بالطائرات على المدن والقرى والمداشر: (عما قريب، سيتزل السخط على رؤوس المتمردين، بعد ذلك سيحل السلم الفرنسي من جديد)[1].

وأعطيت التعليمات إلى رفع عدد المحتشدات والتجمعات والمعتقلات والسجون، لأن سكان الأوراس، اعتبروا جميعا (فلاقة) (Tous des fallagas) ورغم تلك الاحتياطات ومضاعفة الإمكانات الحربية، فإن الثورة استمرت في حصد وقطع رؤوس المعتدين والعملاء، وزرع الرعب فيهم، حتى ضاقت بهم المنطقة بما رحُبت.

إلا أن العمليات العسكرية الكبيرة، وعمليات التمشيط المكثفة، واستعمال العتاد الحربي المتطور لفرنسا والحلف الأطلسي، وتسخير آلاف الأجناد من أوروبا، قد شكلت مضايقة لا تطاق، وخناق شديد على الوحدات الأولى المكونة لجيش التحرير الوطني.

وكان نائب القائد مصطفى بن بولعيد في أوراس النمامشة، البطل بشير شيحاني، قد أدرك أن الثورة، قد تنتكس أو تجهض، إذا لم تستنجد بالمناطق الأخرى، وعليه فقد بعث برسالة إلى قائد المنطقة الثانية (السمندو، الشمال القسنطيني) البطل يوسف

1) الثورة الجزائرية في عامها الأول، الدكتور محمد العربي الزبيري، مرجع سبقت الإشارة إليه، 1984، ص 127.

زيغود، ينبئه، بأن الحالة قد لا تحتمل أكثر، وطالبه بأن يعمل شيئًا من أجل الثورة[1].

وكلف دورية من المغاوير الشجعان، بقيادة البطل أحمد جرعاوي للإتصال بالقائد يوسف زيغود، لإبلاغه أن الهلاك المحقق، قد أوشك أن يحل بالثورة، إذا لم تتحرك المناطق المجاورة، وذكّره بأن الأوراس قد تعهد بتحمّل مسؤولية احتضان الثورة لمدة ستة أشهر، ولكن عدد الشهور تجاوز ذلك، فإلى متى سيظل صامدا ؟.

رأت قيادة المنطقة الثانية، أن المهمة لكبيرة، وتحملها واجب ثوري، وأنه لا بد من عرقلة الإمداد الفرنسي، والتصدي للقوات الاستعمارية التي تجتازها إلى المنطقة الأولى، وقرروا فك الحصار عن المنطقة، وتأكيد استمرارية وشمولية الثورة المسلحة، التي فجرتها طلائع جيش التحرير في أول نوفمبر 1954، وإثبات عكس، ما يدعيه الاستعمار، بأن الثورة، ما هي إلا عمليات محددة، لبعض الإرهابيين والخارجين عن القانون من اللصوص وقطاع الطرق المتخذين من الكهوف وأعالي الجبال منطلق لغاراتهم تحت جنح الظلام ؟!.

إذن، فالهجوم العام ضرورية حتمية يتولاه الشعب، وتنفذه فرق المسبلين بأمر من قيادة المنطقة الثانية، تحت مسؤولية القائد يوسف زيغود، للرد على عمليات الإبادة والتقتيل الجماعي والسلب والنهب التي مارستها قوات جيش الاستعماري ضد المواطنين العزل في القرى والمدن لموقفهم من الثورة ومساندتهم للمجاهدين.

باتت العملية في حيز التنفيذ، وعقدت القيادة اجتماعات لتحليل الوضع، والتحضير للعملية الكبرى، وكان الاجتماع الأخير، مساء الجمعة 19 أوت 1955 ضم قيادة المنطقة (يوسف زيغود، لخضر بن طوبال، مصطفى عمار بن عودة، علي كافي، محمد الصالح ميهوب وعمار بوضرسة) وحضرته أعداد غفيرة من أبناء الشعب، وتم الاجتماع في دار (الزام) لتوفير الأمن والكتمان، والسرية على سلامة العمل، وبعدها انصرفت الأفواج والجموع على بركة الله، إلى أماكن العمليات المحددة، ومواقعهم في الميدان.

1) للمزيد من المعلومات، حول المراسلة، راجع مجلة أول نوفمبر، العدد 86، ص 09.

قائد الهجوم العام، البطل الشهيد، يوسف زيغود (1921- 1956)

في يوم السبت 20 أوت 1955 وعندما كان الفرنسيون، يطالعون الصحف التي نقلت إليهم حروفها، تصريحات جنرالهم (سوستيل) أخبار استقرار الوضع، بعد القضاء على المتمردين في أعالي قمم جبال الأوراس، ونجاح برنامج الاصلاحات، كان جيش التحرير، وجموع المواطنين، يكتمون الأنفاس، انتظارا للوقت الموعود، مخبئين للمستعمر والمعمرين مفاجأة العشرين أوت.

وصل جنود جيش التحرير، صباح يوم السبت، متنكرين في الثياب المدنية، ومن تحتها اللباس العسكري، متجهين إلى الأسواق أو مختبئين في المنازل والسطوح، أو متمركزين في الغابات، والوديان والهضاب والروابي والمزارع القريبة من الأهداف المحددة للعمليات، وهي (39) تسعة وثلاثون هدفا.

أدرك القائد العام للهجوم الشامل يوسف زيغود، أن المواجهة ستكون مصيرية، وأنه كما صرح: «أن الخسارة ستكون مرتفعة، سنقوم بالهجوم الشامل، حتى ولو قضي على نصف السكان، فإن الثورة ستربح، لأن الجزائر ستتحرك، وعلى أية حال، فإن الثورة لن تكون (بعد الأحداث) أسوأ مما هي عليه الآن»[1].

وشملت الأهداف: معسكرات، مطارات، موانىء، مراكز الدرك، الشرطة، الأعوان، خطوط السكك الحديدية، مصانع، مقاهي، ضيع المعمرين، حانات، وبعض رؤساء البلديات، حراس الغابات، الخونة، عملاء المعمرين بدون استثناء، ولأول مرة منذ 1954 لا يفرق جيش التحرير في عملياته بين العسكريين والمدنيين الفرنسيين (المعمرين) وكانت الآية الكريمة دليلا في الهجوم ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[2].

1) الثورة الجزائرية من عامها الأول، الدكتور محمد العربي الزبيري، مرجع سابق، ص 141.
2) سورة التوبة، الآية: 36.

وعندما حان آذان الظهر[1]، كانت الأعلام الجزائرية قد خفقت، ورفرفت أمام الأفواج، ومع صوت المؤذن للصلاة، ترددت في الأرجاء الدعوة الى الجهاد في سبيل الله، واختلطت أصوات الرصاص بزغاريد النساء، وصرخات عساكر العدو الفارين، إلى أوكارهم، من هَول المفاجأة، وبدأت الحرب الفعلية، التي هدّت أركان الاستعمار، وهزّت عملاءه، وسجلت النصر المبين، الذي تحقق بتحطم أسطورة الاستعمار وجيشه الذي لا يُغلب، وإعادة الثقة للمجاهدين والشعب، وفك الحصارر المضروب على أوراس النمامشة، وهروب معمري المنطقة، وترك ما كان بأيديهم، وما نهبوه من أملاك وغيرها.

إن ملحمة الشمال القسنطيني، جعلت فرنسا تشتري (50) طائرة مروحية و(100) طائرة من طراز (B26) من أمريكا، وجاءت بالفرقة الأجنبية يوم 24 أوت إلى الجزائر، وأحضرت الفرقة الثانية الآلية من ألمانيا يوم 26 أوت، بالإضافة إلى الإمدادات، التي تلقتها من الحلف الأطلسي وأمريكا.

وبعد الهجوم الموفق في تحطيم شوكة الاستعمار، قامت قوى العدوان برد فعلها الانتقامي، الذي ظهر في تدمير مئات القرى والمداشر عن آخرها، يا فيها إبادة تامة نذكر منها: قرية فلفلة، الكاف، أولاد غواط، الجمري ودوار لخضر وغيرها.

(1) إن اختيار موعد هجوم 20 أوت 55 كان في منتصف النهار، وهو من جهة أخرى يحمل في طياته ردًا على فرنسا التي ظلت تزعم بأن جبن المجاهدين وخوفهم، يجعلهم لا يظهرون سوى ليلا كالخفافيش.

وأراد قادة الثورة من خلال اختيار يوم 20 أوت لتنفيذ العمليات، وهو تاريخ نفي الملك المغربي محمد الخامس من طرف الاستعمار إلى مدغشقر، لإبراز تدعيم التضامن ووحدة النضال المشترك لشعب المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي.

القلاع الخالدة

نسجل للتاريخ، البقاع والأماكن والقرى والمداشر والمدن والجهات التي خاض أبناؤها الشجعان، غمار الهجوم الشامل، الكاسح، على الاستعمار الفرنسي في 20 أوت 1955، وهي:

سكيكدة ، الطاهير ، الخروب ، القل ، الميلية، جيجل، قالمة، وادي الزناتي، الحروش ، عين قشرة ، فلفلة ، عزابة ، جندل ، سطورة، سيدي مزغيش، مجاز الدشيش، عين زويت، تامالوس، الفهدي، الفخارة، ملعب (كونداس: 20 أوت)، ملعب (القبيبة: الشهيد البشير بوقادوم)، سبع أيار، العالية، وادي قصبة، مشونة، عين مكناسة ، وادي بوسايبة ، العشايشة ، بولمطايد، لغواط بوادي محقن، لخفاير، البومبات، عين رقادة، تاملوكة ، عين مخلوف، عين التراب، جبل العنصل، رأس العقبة ، جبل عين القمح ، وادي الساحنة، السطارة، العولة، الزقزاف، الركنية، مشتة، كرمات ، رأس الماء ، انرادينة ، المابل، شعاب بن جديد، وادي بوكركر، العرازلة، بني ولبان، الكاف، أولاد غواط، دوار الولدة، واد جامع، سيدي عبد الرحمن، سيدي نصر، جبل بيسي، دوار بني معمر، دوار برجانة، زردازة، دوار غزالة، دوار النيل، بوطناش. أم غريون، الوادية، وادي برجانة، بوخداش، سيدي معروف، البادسي، واد عسكر، الجمري، دوار لخضر، حمام بن هارون، زقاب، جبل الوحش، عوينة الغول، عين لفججوج، واد حريد، طابوش، واد عربي، سيدي مبارك، بوهمدان ، لطاية، جبل بوحراث، جبل بوغريس، عين حسانية، جبل موانة، عين السانية ، عين نشمة ، جبل فيض الزينة ، كاف الصبحي ، قرية المنتدي ، الحمري ، اولاد مساعيد ، بوخلوف ، بو الزعرور ، لصفاح واولاد مسعود ، اولاد الحاج، عين الطاية ، السطيحة، عين العربي ، الزويتنة ، تيرا ، تاسقيفت، شقراء ، لجبالة، زاهر، أراقو، لعلم، وادي زقار، احزوزاين، قنطرة احزوزاين، بولحام، قنطرة حمادة ، بئر السطل ، شعبة المهري ، بوساطور، وادي السد، برج الغدير، وادي

الحروش ، رينوند، رأس البراج ، الدردار ، السراد ، مشاط، المرجة، أم الحنوش وحمادة وغيرها.. .

وكان عدد الضحايا، الذين جادت بهم هذه الأسماء الخالدة (12195) اثنا عشرة ألف ومائة وخمسة وتسعون شهيدا وشهيدة، خلال (3) ثلاثة أيام مشهودة، وأربع ليال حاسمة ، والموقف يحتم بأن أذكر هؤلاء الشجعان ويقدر المستطاع، لأنهم أحق بالذكر لما صنعوه لنا، من مجد وفخر وعزّ، وبما صبروا وتحملوا وحققوا، وهم: يوسف زيغود، لخضر بن طوبال، مصطفى عمار بن عودة، علي كافي، محمد الصالح ميهوب، عمار بوضرسة، العربي الميلي، حسين بوعلي، علي بوزردوم، عبد الله بن طوبال ، صالح بومزدور ، عمر قرفي (موسطاش)، مسعود بوعلي ، لخضر الواهم ، محفوظ بن جفلاف، محمد الصالح العاكر ، بلقاسم كريس، محمد خباب، بخوش الساسي ، العربي مدور، بلقاسم ذباب، حسين بوجير، الطيب الثعالبي ، عبد الله بن الصم (مسعود الطاهيري) عمار بن ديش، علي منجلي، عمار هبهوب، أحمد بو ضروة وأبنائه الشهداء الستة ، عبد الرحمن قسيس ، أحمد هبهوب ، بو ضروة عمار ، مسعود بوعشة، الحاج صالح دحمان، اسماعيل زقات، عبد المجيد كحل الرأس ، علي شوشان

سي علاوة بوعزيز ، الطاهر بلعابد ، المختار دخلي (البركة)، مبروك عبدي، مصطفى عواطي، عبد السلام سلامي ، عمر طلاع، علي رزماني ، مسعود بوجيرو ، صالح بوبنيدر (صوت العرب) ، الشريف الزادي، بن مصطفى علواش ، مسعود شعراوي ، سي محمد بوشعالة ، محمد بلعابد، صالح بن عتيق ، السعيد بوزدوم ، زيدان قليل ، الشبل الضيف (بولحية)، البشير بوقادوم، الساسي بيتي، الدراجي العايب، أحمد موات (كشريد)، مصطفى بن الشاوش، علي الشارف، محمد شريم، محمود برواق، عبد الله النابل، خليفة دبوز، أحمد معيش، مالك غميط، رشيد بوعبوش، فردي بوقرة، بلقاسم بن عبد الله حجاص، الطاهر الديمقراطي ، عبد الله بالراسي ، محمد بوعوكل ، علاوة علقمي ، محمود جبلي (الراوية)، بوقرة مزدي ، محجوب العيفة ، الشيخ بولعراس، حمو بلحرش ، علي زغموث، مصطفى فيلالي، علي نموشي، عبد الحميد كروش، عمر العايف ، سعيد عيمون، عبد الحميد قربوع، محمد بن الساسي،

بلقاسم ذيابي، صالح مسطور، علاوة بعطوش، صالح بوزغاية، أحمد بوكرمة، بشير سلطان ، خضر بولدوني، رجم شطاطا احمد حفص، موسى بوروبة، دحمان سعدون، عمر الشبل ، عبد الحميد ديلنجار ، مسعود ليبيتي ، عبد الرحمن شطاح ، محمد نخالدي، حمادي بولدنوي ، عمر بوركايب، حسين سلجا، أحمد بوروبة ، حسين ساكر، مسعود بن غرسالة ، مسعود لكحل، حمودي حمروش، بوغابة قداح، محمد تيتيش، أحمد بودلاعة، عزيز الواهم، محمد قشيش، حسين جرو، محمد الراوية، عبد الحميد لساق، اسماعيل قروط، زكية يسعد، الزغدة بوقندور، ميهوب بهلول، عبد الحميد كحال، محمد بوحوش ، أحمد قديد (الفطايري)، علي نطور (عمي الساسي)، رابح حملاوي ، سي عمار الشطايبي، مبارك علواش، ابراهيم فوفو، محمد بن صالح نطور ، بوقرة علوش ، علي بوزرد ، بوخميس بغيجة، عبد الحميد زرطال، يوسف لقرور ، محمد الصالح بوسلامة، محمد بن طعبوج وأبنائه: أحمد، الحواس، شعبان، المسعود بوعدة (عمار)، السعيد عمير مدور، مولود مملخ، العيد بلحواس، ابن الشيخ كبلوتي ، بوزاو مريمد ، مسعود شرق ، بشير الحروشي ، ابراهيم شيبوط ، علي بن محمد نتور (الساسي) ، عبد الرحمن بوسعدية ، صالح بوجمعة ، مصطفى حركات ، الشريف الزادي ، محمد الصالح المطروش ، عبد السلام بخوش ، رابح بلوصيف ، الساسي كعبوش ، بشير سلطاني ، علاوة علق، مسعود بن غرس الله (الحر) ، رمضان بن زيتون ، محمد ديبون ، لخضر بكوش، الطاهر بوغلوف، علي بوعافية، محمد بوعسلة (بن سلطان)، الطاهر روبيح، البشير الصاولي ، الطيب زيغد ، قدور بليزدية ، بلقاسم الأوراسي ، العيدي فطايسي ، علي موسى الضيف ، الساسي بوعصيدة، علوش بوقرة (مبارك)، عياش رابح، حسين بالشيخي ، أحمد كيحل ، محمد كيحل، محمود فنيخ، الزواوي بورنان، أحمد بورنان، الطاهر أدنيش، الفضيل بوربيع ، مسعود شنيتي ، عمار عزوف ، محمد قريرم ، الطاهر بوشحيط ، الصالح بوشمور، يوسف قديد، عبد الحميد بن كحول، اسماعيل محمد الصالح، الميهوب بو الديس، صالح بوجمعة، سي مسعود بوجريو ، رمضان يونس ، بلقاسم بوعراية ، بوقرة علوش ، المولود عرنان، بوخميس سنيقر ، موسى بوخميس ، المولود بلسكن ،

صالح زعير ، لونيس زعير ، أحمد حداد ، محمد هدام ، زعدود زرويل ، علي عبد النور، العربي بو الشعور، السعيد مدور ، مبروك عبدي ، عبد الله بو التاية ، سي عبد الله عويس، مسعود بوعشة ، الطاهر قوباش، علي بولوج، الطاهر رحمون، حميد ديلنجار ، عيسى صمودي ، بوجمعة فوناس ، أحمد بوعافية ، يوسف بوحجة ، عمار وادي، حسين الزاوي، عبد الله خلوط (خالي)، عيسى سعيود، رابح أزطوط، عمر لطرش ، الطيب بن حسن ، الخميس كحيلة ، ابراهيم بن محفوظ سعدي، لخضر صمودي ، علي بوستاني ، أحمد بن سعيد نقايقي، إبراهيم قوناس، مبروك شالمي الداودي بالراوي، محمد تريقي، عمار بهلول، محمد عايدي، محمد الأسود، اسماعيل سلجاني والآخرين.

بعد الهجوم الشامل، لم يعد الفرنسي يقاتل من أجل الانتصار أو البقاء في الجزائر، بل للنجاة والهروب بجلده. وتجنب الضربات السديدة التي اشتدت وتجددت، وصار يعي تماما، أنه مغادر لا محالة، كرها أو طوعا أرض الأحرار.

ولنعد إلى أوراسنا الصامد، الذي لم يترك الراية تنتكس، وأصبح في مواجهة باسلة مع أبطال المنطقة الثانية والقبائل[1]، التي صمدت صمودا لا يقل عن منطقة أوراس النامشة وبذلك انتهت مرحلة الضعف والتردد، وبدأت مقدمات الظفر والنصر، التي تحتاج أكثر فأكثر، لتضحيات جسام وعظام.

1) في نيتي، أن أكتب عن أبطال ثورتنا الخالدة، وأرجو من الله، أن يوفقني في الكتابة عن (ملك الجبال) العقيد آيت حمودة عميروش، القائد الذي دوخ (14) أربعة عشر جنرالا وعشرات العقداء ومئات الضباط من مختلف المراتب، وقهر جيوشا، لا تعد ولا تحصى في جبال القبائل الكبرى الشامخة.

عناق البنادق

أصبحت القوة الفرنسية في الشرق الجزائري، بعد الهجوم الكاسح، مشلولة القوى تترنح أمام الضربات في جهات متعددة، مما جعل قادة فرنسا والحلف الأطلسي، يضطربون في خططهم العسكرية الفاشلة ويغيرون استراتيجيتهم الحربية.

وحدث في 11 نوفمبر 1955 أن تمكن قائد الثورة مصطفى بن بولعيد، من الهروب مع ثلة من الأبطال المحكوم عليهم بالإعدام من سجن الكدية[1] بقسنطينة، وهنا أرغت فرنسا وأزبدت، ولكن القائد وصحبه الميامين، نجوا وعادوا إلى مرابضهم في جبال الأوراس.

رتبت قيادة المنطقة الأولى اجتماعات عديدة لدراسة وعرض حال نتائج هجوم الشمال القسنطيني وحملة الجنرال (جيل) على الجهة، وما استجد من أمور، أثناء وجود قائد المنطقة في السجن.

في الشهر الأخير من 1955 تدفقت قوات لا حصر لها على أرض الجزائر، لإعادة تلك الشجاعة التي فقدت أثناء الهجوم المظفر - للجيوش الاستعمارية والمعمرين، الذين فروا تاركين وراءهم كل شيء طالبين النجاة بأرواحهم من المد الثوري، الذي لوى أعناقهم، وقطع منها الآلاف[2].

1) للمزيد من المعلومات، حول العملية، طالع كتابي، فاتحة النار، العقيد مصطفى بن بولعيد، الهروب الكبير، دار الهدى عين مليلة، 1990، ص 31 - 33.

2) الهجوم أدى خلال عام 1955 الى هروب أكثر من (120) ألف (معمر) من منطقة الشمال القسنطيني والمناطق الأخرى الى فرنسا، وهؤلاء أطلقت عليهم الثورة، الأقدام السوداء، ويعتبر كذلك كل من كان في الجزائر وخرج منها أثناء الثورة التحريرية.

ونتيجة للهجوم الذي قهر الأعداء، أقصي في يوم 28 جانفي 1956 الجنرال (جاك سوستيل) الوالي العام من منصبه، وغادر الجزائر في 2 فيفري 1956 وعُيّن خلفا له، الجنرال (كاترو) الذي وجد معارضة شديدة من المعمرين، مما اضطره إلى الاستقالة في 7 فيفري، أي بعد خمسة أيام من تعيينه، وعُيّن مكانه السفاح (روبيرت لاكوست) الذي سمح للمعمرين تكوين المنظمات الإرهابية، وأجهزة القمع البوليسية، ووضع على رأسها الجنرال (جاك ماسو) وقد منحت له كل الصلاحيات للقيام بالأعمال الإجرامية من خلال المعلومات التي يحصل عليها عن تحركات المسبلين، وتكوين قوات مضادة لذلك، وأمام هذا الوضع الخطير، كان على قادة الثورة استدراك الحالة، قبل أن تدك معاقلها، ويوضع عليها ثقل أوروبا العسكري.

وأمام هذا الوضع الخطير، كان على قادة الثورة استدراك الحالة، قبل أن تدك معاقلها، ويوضع عليها ثقل أوروبا العسكري.

وعليه، فقد أعيد تنظيم هيكلة جيش التحرير، من حيث الأفواج والفرق الى وحدات وسرايا قليلة العدد، وأعطيت الأوامر للمجاهدين بالتوجه إلى الجهات التي يعرفون مسالكها، حتى يسهل الإفلات، أثناء اشتداد الحملات الكبرى، وعدم إطلاق النار إلا في حالة الدفاع، أو للضرورة القصوى وعدم استعمال الأسلحة الفعالة[1] التي غنمها المجاهدون من أبراج المراقبة[2]، أو في معارك أو كمائن نصبوها للعدو.

---

1) جيش العدو لا يتورع في استخدام كل قواته البشرية والحربية، لاسترجاع قطعة سلاح فتاك، لذا فإن جيش التحرير لا يستعمل الأسلحة الفعالة المتطورة إلا بتوفر شروط منها: الرامي يجب أن تتوفر لديه الشجاعة الكافية، وأن يكون قادرا على حسن استعمالها وبدقة متناهية.

2) حدث في شهر ماي 1956 على الساعة العاشرة صباحا، أن قام (28) ثمانية وعشرون مجاهدًا من جيش بني فرح بالهجوم على مركز معافة العسكري، وبعد اقتحام محكم ومعركة بطولية، تم الاستيلاء عليه بعد أن سقطت عناصره بين قتلى وجرحى وأسرى، وغنم المجاهدون مدفع جماعي (7/12) من برج المراقبة، ومن أبطال الهجوم نذكر: عبد القادر ناصر، عبد القادر السبع، لخضر بن الجبل، علي بن واخير، الصالح نزار، الصالح زيدان، الحاج عمر العساسي، الصالح جزار، بلقاسم مشلق، لخضر الشايب وبشير منفوخ.

إن وجود هذه القطعة الجماعية لدى جيش التحرير يحتاج لبحث خاص، ومتابعة مضنية من حيث توابعها وزوابعها، ويمكن أن نطلق عليها (لعنة 7/12) في الأوراس.

وكان اجتماع مارس 1956 بقيادة مصطفى بن بولعيد، الذي ضم مسؤولي الجهة الغربية من الأوراس، في المكان المسمى (تافرنت) قرب نارة، ناحية منعة، والذي حضره كل من: سي الحواس، الحاج لخضر، محمود بن عكشة، الطاهر غمراس (النويشي)، مصطفى رعايلي، علي بن شايبة، أحمد قادة، عاشور سي زيان، عمر بن بولعيد، عبد الحميد عمراني، أحمد نواورة، محمد الشريف بن عكشة، عبد الحفيظ طورش، محمد بن المسعود بلقاسمي، ومسؤول الناحية علي بعزي.

في هذا الاجتماع، تم عرض الحالة العسكرية والسياسية بمنطقة جنوب الأوراس والصحراء، ولأول مرة تطرح، فكرة تكوين الولاية السادسة، وتبادل القائدان مصطفى بن بولعيد وأحمد بن عبد الرزاق سي الحواس، التوجيهات السياسية والخطط الحربية، التي يجب أن تنفذ في الأوراس والزيبان والصحراء.

واستبشر الجميع خيرا بالثورة، بعدها أعلن شيخ المجاهدين عاشور سي زيان، انضمامه تحت قيادة مصطفى بن بولعيد بجيشه البالغ أكثر من (700) سبعمائة مقاتل، ليصبحوا مجاهدين في صفوف جيش التحرير الوطني.

لقد انضم هؤلاء الغيارى الشجعان بكامل أسلحتهم وعتادهم الحربي المتطور، وكانوا يشكلون جيشا قويا، باسطا سيطرته على منطقة أولاد جلال وجبال أولاد نايل من أقصاها إلى أقصاها، ونذكر بعض هؤلاء الأبطال: أحمد طاجين، محمد لكحل، رمضان طبش، أحمد بن بوزيد عاشور، الصالح معيزة، سي علي عاشور، محمد الصغير زهانة، سلميان شخشوخ، أحمد دلول، محمد الصغير الأمين، أحمد غربية، أحمد بن رحمة عاشور، المسعود شرقي، مفتاح الدراجي، عمر بدري، الصالح معاش، الطيب فرحات أحميدة، الطاهر برمة، عبد القادر جارو، قويدر دهان، النوري بومدين، قويدر العمري، أحمد بن الهادي مسعي، أحمد بومدين، الصالح إبراهيمي، سليمان سليماني (لكحل) عيسى النوي، الحواس عاشور، محمد طالبي، بو فاتح الجروني، محمد الصغير خمخام، عبد القادر عاشور، عمر توام، عبد القادر كشيدة، لخضر هالي، عاشور سليمان، عبد الرحمن بلهادي، عبد الرحمن غربية،

السعيد قمعوش، العربي بايزيد، السعيد عبادو، عبد القادر عوينة، صاولي الجيلالي، عبد الكريم زمرلي، الغربي بن الأمين، أحمد لقويرح، محمد شخشوخ، الصالح بن تواتي، عبد الرحمن البوزيدي، محمد العربي أولاد موسى، الغول بن صالح، سي بلقاسم الشريف، محمد الأحمر، سي عبد الله السهاتي، المختار بن بوبكر، العمري قويدر، أحمد السبع، سي بوجملين روينة، عبد القادر جغلاف، أحمد مجمع، سي لخضر رويني، محمد الصغير الجودي والآخرين ..

إنهم فتية أدركوا، أن الاستعمار يعمل بواسطة أذنابه على زعزعة قيم الثورة، وعليهم الوقوف بحزم وصرامة في وجه الدسائس والمؤامرات التي تحاك وتخطط في باريس وعواصم الحلف الأطلسي، لتنفذ على أرض الجزائر الصامدة.

لقد كانت كتائب حشود جيش التحرير مبتهجة بلقاء الجبل الأزرق، الذي وَحَّدَ بين مجاهدي وثوار الأوراس والصحراء، وأوجد صيغة موحدة للتعامل السياسي والتنسيق العسكري بين القادة، وتعانق الجميع وتشابكت الأيدي على العهد ضد الاستعمار، ورددوا أهازيج الظفر وأناشيد الانتصار.

وفجأة، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ كانت الفاجعة الكبرى[1] والحدث الأعظم، الذي جعل القرارات تتطاير مع الشظايا، لتتعالى، وتعانق أرواح الشهداء الخالدين: قائد الثورة وملهمها العقيد مصطفى بن بولعيد والأبطال الأفذاذ: علي بعزي، محمود بن عكشة، عبد الحميد عمراني والفضيل الجلالي.

أقبلت حينها عاصفة عاتية هوجاء ، قاتمة قاتلة ، تسف من كل حدب وصوب، تحصب الوجوه وتحف الحشد، الذي كان من شدة الخطب والهول في ذهول ووجوم وصمت رهيب، مسموم، يحدق كل منهم الى الآخرين في نظرة تساؤل واستفهام، يجتمعون زمرا ويتفرقون، وهم يتراكضون من جهة لأخرى، بينا تبادل البعض كلمات جارحة وألفاظ قاسية، ذات معنى ومغزى مبيت.

(1) للتفصيل انظر: ظروف الاستشهاد في كتاب قافلة النار، مرجع سابق ص 44، وما بعدها.

أشلاء وجرحى وضحايا ، هنا وهناك ، ازدادت التساؤلات، وتعالت الصيحات الحاحًا ولجاجة ، بينما الأسلحة تصتك بالأيدي ، والأصابع تتردد في الضغط على الزناد ، والأرجل تتردد في إقدام وإحجام ، الكل متأهب للثأر والانقضاض على الجميع ، وأُطلقت رصاصات مجهولة، أصابت البعض وأضحى الجو مشحونا بالدخان الداكن.

وكانت الحماسة تتجلى في عبارات التشجيع، التي تتبادل بين الحين والحين، في الوجوه الغاضبة الثائرة، والنداءات التي تترى مرددة بأصوات جهورية (الله أكبر، الله أكبر) ورددها جميع المجاهدين، وقد ثبتوا وصبروا وتفرقوا، ولولا لطف الله العلي القدير، لكانت الكارثة الكبرى، التي لا تبقي من المجاهدين أثرا، ولا تذر شيئا يذكر للثورة في الناحية، بل مقبرة جماعية كبيرة لقادة وجيش تحرير الجزائر.

الصحراء بيداؤنا

في عام 1956 تم اكتشاف البترول في الصحراء الجزائرية، وسارعت فرنسا إلى ضرب نوع من الحصار والتطويق على المنطقة، وذلك بإصدارها قوانين تفصل الجنوب على بقية جهات الوطن، فكونت الولاية الرابعة عشر (الواحات) والخامسة عشر (الساورة) وكان الدخول للعمالتين (الولايتين) يخضع لاجراءات قانونية خاصة.

وقد أقيم حد فاصل، وخط لا يمكن تجاوزه إلا بأخذ رخصة الدخول، بل وقد انتهى الأمر إلى انشاء قيادة عسكرية منفصلة في الولايتين، كما أستحدثت وزارة الصحراء.

ونشأت فكرة الصحراء بحر داخلي، وكان الغرض منها نكران حقوق الجزائر في السيادة على الصحراء، وذلك بدفع الدول المتاخمة إلى المطالبة بنافذة على التراب الجزائري، وقد نجحت تقريبا المناورة في إثارة بعض المطالب والأطماع، لكن المؤامرة سرعان ما فشلت، بفضل العزيمة الصارمة التي أظهرتها جبهة التحرير الوطني وقوتها الضاربة جيش التحرير الوطني الباسل.

إن الصحراء ذات الأهمية الكبرى في سياسة ومستقبل فرنسا، جعلتها جزء وكأنه لا علاقة له بالأرض والانسان، بل جعلته حقلا ومجالا لأعمالها الاجرامية، وتجاربها الحربية المحرمة دوليًا، إذ أن منطقتي (حمغير) و(رقان)(*) أضحتا من المناطق التي شهدت أكبر اعتداء صارخ في حق الجزائريين الأبرياء.

(*) حدث في منطقة «رقان» في الساعة السابعة وأربع دقائق من صباح يوم السبت 13 فبراير 1959 أن فجرت الحكومة الفرنسية قنبلتها الذرية في صحرائنا، متحدية بذلك الشعوب الافريقية، وجميع شعوب العالم، نكتفي ببعض ما كتبه شاعر الثورة (ابن تومرت) وقتها، قال في قصيدة طويلة، نقتطف منها، هذه الأبيات:

وسيحكي هذا الزمان ويروي — للبرايا فضائح المدنية
لعنة العار من فرنسا وخلد — في الضحايا تلك النفوس الزكية
والفجر صارخا ... وقل يا فرنسا — أنت في الأرض هفوة هزلية
يا فرنسا ... يا لعنة البشرية

(ابن تومرت)

مجلة المجاهد، العدد 62، 1960، ص 9.

إن الثورة في الصحراء، لم تترك للعدو مجالا لتحقيق أهدافه الإجرامية الشريرة، فكانت العمليات المتتالية، تنفذ بدقة متناهية على الشركات العاملة ووسائل النقل والقطارات الحاملة للبترول، ونذكر بعض أسود جنوبي الأوراس والزيبان والصحراء، الذين واكبوا العمليات الحربية البطولية، وحققوا الانتصارات الرائعة: محمد بن المسعود قاسمي، علي مشيش، محمد بولعيد، الصادق بوكريشة، إبراهيم بويخف، سي المسعود أونيسي، محمد الشريف عبد السلام، الحسين برحايل، عبد الكريم سلاطنية، محمد مني، محمد عمايري، مزيان عماري، فضيل مويسات، عمر عرامي، مسعود مدوري، أحمد بوصابر، أحمد زرواق، محمد بزيان، الصالح سلطاني (القط)، الصادق فرغوسي، لخضر يوسني، سعيد بومعراف، الطاهر حوفاني، مخلوف قاقا، محمد عربوات، علي دوحة، بشير بن الراهم، أحمد بوروبة، عمر صغيرو، محمد شعباني، الحسين عبد السلام، عبد الحفيظ طورش، محمد الشريف بن عكشة، الطاهر الزبيري، محمد روينة (غنتار) محمد الشريف جار الله، السعيد عبادو، عمر صخري، الطاهر لعجال، لخضر يوسني، علي بوغفيري، أحمد بوجنيفة، بلقاسم رناخي، محمد سيفونة، محمد مزوجي، بلقاسم عثماني، الطاهر برسولي، أحمد حشاشني، الوردي قصباية، لخضر السوفي، عبد الحميد خباش، الحاج عمر عساسي، محمد بويعقدن، بلقاسم مدور، أحمد برجي، بلقاسم بوميلان، عمار بركات، عمر زيان، مخلوف بن غضبان، ساعد بن لخضر، محمد الحاج أتيهي، الدراجي لكحل، محمد عصمان، أحمد عبدلي، رشيد حليمي، البشير رزيق، محمد كحلة، علي الشريف، عبد الرحمن كحيل، أحمد التيجاني، عبد الرزاق ريغي، عمر دباخ، مبروك شاقوري، حمة لخضر، الهاشمي ونيس، عبد القادر رايس، عبد المالك حميدي، معنان بتور، محمد لخضر هلايلي، سالم حسوني، عباس عزيل، أحمد دراية، عمار قسميوري، محمد قيرع، الحسن مالكي، إبراهيم قاسي، لمقدم مبروكي، الطاهر عيلان، الصالح ادريس، ضيف الله رحال، علي عمراوي، بشير فهام، الطاهر فرحاتي، وكثير من الأبطال...

الصفحات المرعبة

تمثل هذه الوثيقة، التي نكتبها، عينة صغيرة ومحدودة، من حيث المكان والزمان، ولكن، عيّنة تصور لنا بكل وضوح، ممارسات الجيش النظامي الفرنسي ضد السكان العزل، وتصور لنا، كيف تحول هذا الجيش الرسمي إلى آلة للتعذيب والتقتيل الفردي والجماعي والتدمير والتخريب، وأداة سلب ونهب على نطاق واسع، وهي بالتالي شهادة تدين هذه الممارسات وتندد بها، أنها شهادة جندي فرنسي استيقض ضميره، فقرر، أن يروي لنا وقائع التعذيب الوحشي داخل وحدات الجيش، وهو إذ يفعل ذلك، إنما يريد أن يعرف الناس، شيئا من أهوال الحرب الاستعمارية في الأوراس من خلال ما شاهده بنفسه، أو عايشه عن قرب استنادا إلى ما شاهده رفاقه الجنود.

كتب الجندي جاك بيشو في مذكراته (سنة في الأوراس) يقول:

«كنت قضيت سنة كاملة في الأوراس، من مدة خدمتي العسكرية، وذلك بصفتي جنديا منتسبا الى دفعة 2/54 ب من أفريل 1956 الى أفريل 1957.

عدت بعدها إلى فرنسا، وأنا موسوم بالعار والشنار، مكلل بالخزي، يائسا لكوني اصطدمت بصفة دائمة تقريبا بجدار اللامبالاة أو من الحقد، كلما حاولت أن احتج لدى الضباط وصف الضباط، أو كلما حاولت أن أوقض الضمائر، ضمائر رفاقي الجنود».

بسكرة (جوان – أكتوبر 1956)

في مساء أحد الأيام، كنت عائدًا من السينما، غداة وصولنا إلى بسكرة وبينما كنت مارا بأحد الأنهج، شاهدت الجنود السنغاليين (القناصة) يحاولون اضرام النار، وكان أحدهم، مازال ممسكا بفأسه المضرج بالدماء، وكانت جثة أحد الجزائريين ملقاة أرضا، وقد مُثّل بها شرّ تمثيل، وفي هذه الأثناء مر ضابط برتبة ملازم أول، حاول تهدئتهم، وقد علمت أن جزائريّين آخريْن، قد نَفَذا الى الموقع حيث قتلا بواسطة قضيب، أُدخل في اذنهما وعيونهما، وقيل أن جنديا أوروبيا قام بتقديم يد العون لهؤلاء القناصة، أثناء التنكيل بالضحيتين، وأن عساكر أوروبيين آخرين، ينتمون الى كتيبتنا، قد خرجوا يتراكضون الى هذا النهج وراحوا يطلقون الرصاص من بندقية رشاشة على غير هدى، فقتلوا جزائريا رابعا، كان الخوف قد دفعه الى التمترس خلف باب داره، ثم جمعنا النقيب، وأمرنا بتفتيش عدد من أحياء بسكرة، والإغارة عليها، وهذا ما فعلناه.

لماذا لم يعترض ذوي الرتب الموجودين بالمعسكر على هذه المذبحة وجرائم القتل هذه؟.

ولكن ما سبب هذه الاغتيالات. لقد تعرض أحد الجزائريين الى عملية سلب محفظته من قبل أحد القناصة السنغاليين، فاضطر الى الدفاع عن نفسه، فأصاب بجرح خفيف قناصا بخنجره، وعندئذ انقض السينغاليون على الجزائريين الذين وقعوا تحت أيديهم، لقد أعتقل الجندي الذي قتل المدني، وذلك بناء على طلب السلطة المدنية لمدينة بسكرة بتهمة القتل العمدي (وقد مُثِل هذا الجندي أمام محكمة عسكرية، قضت بتبرئة ساحته، أي بعد قبول الدعوى).

ومن بسكرة، كنا ننطلق للقيام بعمليات في الأوراس على وجه العموم، لمدة تتراوح بين (3) ثلاثة إلى (15) خمسة عشر يوما، وكانت هذه العمليات تستهدف في غالب الأحيان، المشاركة في ضرب الحصار، وكما كانت تجري، في أغلب الأحيان في مناطق محرمة (وهذه المناطق المحرمة تشهد اليوم توسعا كبيرا ، كل يوم تشمل مناطق جديدة) مما يجنبنا كل احتكاك بالسكان المدنيين، ورغم ذلك، رأثناء القيام بإحدى العمليات التي جرت في الصحراء غرب (لوطاية) صادفنا ذات يوم مخيما للبدو الرحل، أمرنا النقيب بإحراق الخيم والمؤونة (المخزون الغذائي) التمست من الرقيب الأول، وكان أكثر تفهما من غيره، أن نترك جزء من هذه المؤونة، دون اتلاف فأذن لي بذلك، ثم أعدم الرجال رميا بالرصاص (احتفظ بأحدهم حيا، لحمل جهاز الاتصال ثم أُعدم بمجرد الوصول إلى الشاحنة).

إن مبرر هذه الجريمة مبهم، فالمنطقة أصبحت محرمة منذ يوم أمس، وأن هؤلاء الرجال، لن يكونوا غير «ممونين» إلا أنهم لا يحملون غير ما هو لازم لبقائهم أحياء، ومن جهة أخرى، كان هؤلاء الرحل المقيمين بهذه المنطقة الصحراوية النائية غير المناطق الآهلة، حيث تبعد عن أقرب مركز عدة أيام مشيا على الأقدام، هل كان هؤلاء يعلمون شيئا عن الثورة؟ وعندما أعيد التفكير في هذه العملية الآن، فإنني مازلت أرى وجوه النسوة وقد ارتسمت عليها علامات الخطر والرعب، ومشهد الأطفال الذين تركوا هناك، دون ماء،أمام رماد الخيام، ووسط الجثث التي فجرت رؤوسها، وتناثرت أشلاء.

وأثناء نفس العملية، جرح أحد (المتمردين) خلال احدى الاشتباكات، وحمل على بغل لمدة طويلة، لأنه كان عليه، أن يقودنا الى مغارات (كهوف) تحتوي على الأسلحة، لقد مشينا طويلا، منهكين، قد أخذ العطش منا كل مأخذ (كما سقط عدد منا لأنهم، لم يقوُوا على النهوض بمفردهم، فكانوا شبه محمولين أو متكئين على رفاقهم) دون أن نعثر على هذه المغارات.

وفي اليوم الموالي استأنفنا البحث عن هذه المغارات، ولم نعثر على شيء، ضرب الجريح بمؤخرة البنادق في موضع جروحه، ثم قال لنا النقيب، وقد بلغ به التعب كل مبلغ : فجروا مخه، لا، أنه لأمر مؤسف،أن يتسخ اللحاف أقذفوا به من النقالة (حاملة الجرحى) وراح الجريح يتدحرج على الأرض،ثم قتل برصاصة في الرأس.

وفي الأوراس، كنا غالبا ما نجتاز قرى مهجورة، كانت تعرضت لقنبلة الطائرات أو أحرقت، وقد صادفنا في العديد من المرات مدافن، تنبعث منها رائحة كريهة جدا ومنفرة، امتزجت فيها جثث الرجال بجثث البغال، إنها قوافل طاردتها الطائرات، ثم انقضت عليها، فأهلكتها عن آخرها.

وفي القرى الآهلة بالسكان، الواقعة في المناطق المحرمة، والتي مررنا بها، كان عدد المدنيين يعذبون أمام الجنود، على وجه العموم، بل وبمشاركة فعالة لبعض جنود الخدمة العسكرية، أو الجنود العاملين.

وخلال شهر جويلية، حين كنا غائبين عن بسكرة، استدعيت كتيبتنا على جناح السرعة، وعند وصولنا، إليها كانت ساحة السوق ما زالت تحترق، وإليك ما حدث :

تعرضت دورية، كانت تمتطي سيارة، من نوع (جيب) لوابل من رصاص بندقية رشاشة، قتل من جراء ذلك، قناصا سنغاليا، برتبة عريف أول، قائد الدورية، وذلك خارج بسكرة.

وعلى إثر هذا الكمين، سارعت كتيبة من القناصة السنغاليين بالنزول الى مركز المدينة (وسط المدينة) حيث أحرقوا الحي الميزابي، وقتلوا (35) شخصا، ثم عسكروا حول أحد بساتين النخيل بالقرب من بسكرة، وقاموا بقتل (325) ثلاثمائة وخمسة وعشرون مدنيا، حسب أقوال أحد رفاقي الذين كان ملحقا بهذه الكتيبة الافريقية، أما ضباطهم الأوروبيون ، فكانوا حسب شهادات أحد رفاقنا، يأكلون ويشربون بنادي الضباط، لقد لجأوا إلى النادي، حتى لا يضطروا للتدخل.





مكان المجزرة التي اعترف بها السفاحون

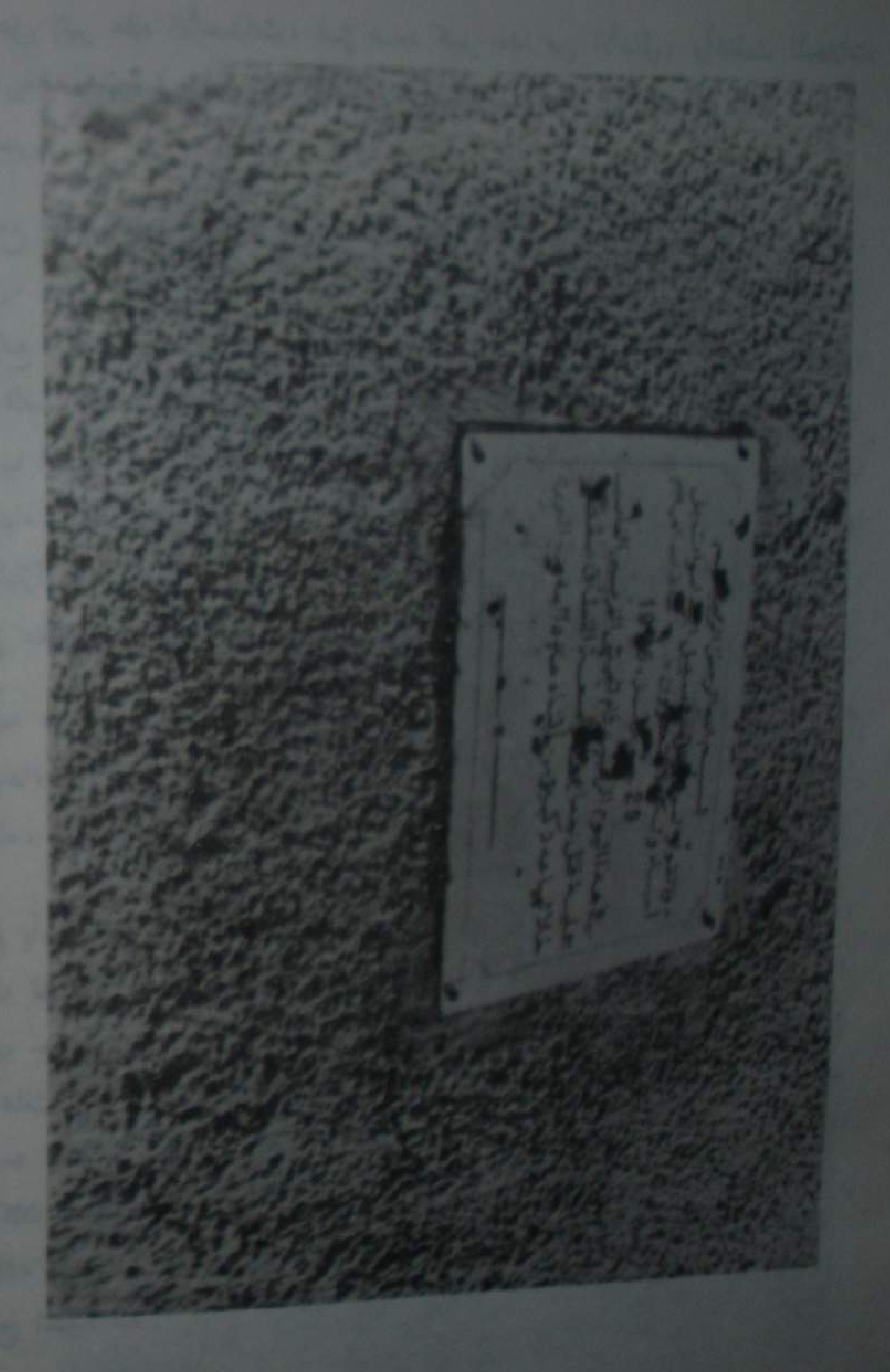
وعلى إثر هذه الأحداث، فرّ عدد كبير جدا من الأهالي، وأغلقت المحلات التجارية، جميعها طيلة عشرة أيام، ولم تفتح أبوابها، إلا بعد أن تدخل الجيش الفرنسي.

ومع نهاية شهر جويلية، قُتل أحد رفاقي، وهو برتبة رقيب عامل، وذلك أثناء كمين، وقع داخل أحد بساتين النخيل بالقرب من القنطرة، أمر النقيب (م) قائد الموقع، بقصف هذه القرية بمدافع الهاون، لكنه لم يخلف ضحايا على ما يبدو، وفي الغد تلقت كتيبتنا الأمر، بتفتيش القرية المذكورة، وكانت فرصة سانحة لنهب وسلب القرية الآمنة، وهي مدينة صغيرة، على جانب كبير من الثراء، وكانت منازل الأغنياء والدكاكين مصدر كسب للجنود، لقد سرقت الأموال (النقود) التي عثر عليها في المنازل أو في صناديق التجار وخزائنهم، ولدى تفتيش النساء (لقد عثروا أحيانا على مبالغ هائلة قد تفوق (100) مائة ألف فرنك دفعة واحدة).

لقد صرح لنا قائد فصيلتنا الرقيب الأول (ف) قائلا: من يعثر على دراهم ولم يأخذها، فهو أحمق، أو مغفل لا محالة، وبعض هؤلاء الجنود كان يتباهى باغتصابه النساء، ونقيبنا الذي كان يشهد عمليات السلب والنهب، فإنه لم يشارك بنفسه فيها،

أو لم يأخذ شيئا لنفسه، غير أنه عندما مر أمام دكان مسلوب، حيث كان صندوق أمواله قد خلع ، ومحتوياته خاوية على عروشها ، والبضائع الغالية الثمن قد نهبت، تناول حبة حلوى ووضع مكانها (5) فرنكات على مبسط السلع ، وفي محل بائع الساعات، حيث جميع الأشياء الثمينة، كانت قد نهبت، قام بإعادة مبنى عتيق الى موضعه الأصلي.

وكان عملنا، ينحصر بين عملية وأخرى في القيام بأعمال الدوريات، صحبة رجال الدرك، أو إقامة الحواجز على الطرقات خارج مدينة بسكرة ، وكذا القيام بحراسة أسطح المدينة ليلا.



النصب التذكاري الشاهد على مجزرة يوم الأحد 29 جويلية 1956 ببسكرة.

وفيما يتعلق بشرطة بسكرة، أشير الى أن مسلكهم، إزاء السكان الى حد ما سليم، فرجال الشرطة، يشاركون في الغارات المفاجأة، وعمليات التفتيش للأحياء العربية، وكانت مهمتهم تنحصر في الحيلولة دون وقوع تجاوزات من قبل العسكريين، ورغم ذلك فقد أكد لي مفتش الشرطة القضائية (العدلية) لمدينة بسكرة، أنه كان يمارس بصفة اعتيادية، القتل على الطريقة المسماة (La Corvee de bois).

ومن جهة أخرى كان بعض رفاقي شهداء على العديد من الاعدامات المقنعة، بحجة محاولة الفرار، التي كان يمارسها البوليس، ومن ناحية أخرى، لقد كنت شاهدا على اغتيال أحد الجزائريين، بواسطة أحد القتلة المأجورين من طرف البوليس.

كنا مكلفين بحراسة حاجز أقمناه على طريق سيدي عقبة، ومن موقعنا هذا، شاهدنا حشدا من الناس ملتفين حول جثة جزائري موثوقا، قد قطع عنقه، وعندما أحطنا الشرطة علما بالحادث، أجابنا رجال الشرطة، أنهم كانوا على علم به، وأنهم هم الذين ذبحوا هذا المشبوه، بعد أن أطلقوا سراحه، لقد ارتكبوا جريمتهم، ثم نسبوها الى (الفلاقة) الذين قاموا بقتل أحد أصدقاء فرنسا على حد زعمهم(•).

•) الشاهد الجندي جاك بيشو، قضى فترة خدمته العسكرية في ثلاثة مراكز بالأوراس:
- مركز بولفيان، شمال شرق (Idgar-quinet) قايس حاليا، ولاية خنشلة.
- مركز بسكرة، مدينة بسكرة.
- مركز منعة، ولاية باتنة حاليا.

طالع كل ذلك بالتفصيل في صفحات مرعبة، وشهد شاهد من أهلها، ترجمة الأستاذ عبد الكريم رمضان، مجلة المجاهد، اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني، العدد 1474، 4 نوفمبر، ص 26 - 31.

حامي الصحراء

إن الأحداث العنيفة التي واجهت الثورة، بعد أن أفاقت فرنسا من هول الهجوم العام، كانت خطيرة، إذ عمدت إلى استراتيجية جهنمية في التصدي لجيش التحرير، وتمثل في الدخول إلى القرى والتجمعات السكانية والتمركز بها، بإقامة المراكز العسكرية والثكنات وأبراج المراقبة.

في هذه المرحلة العصيبة، شنت قوات العدو، حملات رهيبة، تمشيطية على كل المناطق، ومن أشدها هولا، حملة الجنرال (ديفور) على المنطقة الثالثة[1]، أثناءها كان فوج من الأوراس[2] بقيادة عمر بن بولعيد، يتكون من (75) مجاهدا، متواجدا في المنطقة، للتشاور والبحث عن اختيار المكان الملائم لعقد مؤتمر عام للثورة[3].

---

1) بدأت الحملة في 29 ماي - 3 جوان 1955، ومن نتائجها: استشهاد (7) مجاهدين (3) من الأوراس و(353) من المدنيين من جبال وقرى: جرجرة، ازرو، تيلا، البيبان، تازمالت، سطيف، وادي الصومام، عين لفراح مارغنة، عزازقة، اوزلاقن، أكفادو، بني غليس، بوزناق، ايغزر أمقران ومناطق أخرى.

2) منطقة الأوراس لم تشارك عمليا في مناقشات المؤتمر الا أن فوجين من المجاهدين توجها الى الولاية الثالثة (القبائل) و وصلا الى وادي الصومام، بعد انتهاء المؤتمر، ومكثا هناك مدة للاطلاع واستلام قرارات المؤتمر. ونذكر بعض هؤلاء الأبطال: عمر بن بولعيد، مصطفى رعايلي، أحمد قادة، علي مشيش، الحاج لخضر، المكي حيحي، أحمد نواورة، محمد لعموري، عمار بلعقون وابراهيم كابوية وآخرين.

3) كان اقتراح عقد المؤتمر في المنطقة الأولى بكيمل في غابة البراجة، أو في المنطقة الثانية بسوق هراس في جبل بن صالح، أو في المنطقة الثالثة بوادي الصومام بدوار أوزلاقن بالقبائل الكبرى، فكان الاقتراح الأخير خاصة بعد استشهاد القائدين مسئولي المنطقة الأولى والثانية: مصطفى بن بولعيد ومراد ديدوش.

في 20 أوت 1956، انعقد المؤتمر[1] بوادي الصومام، وقرر تقسيم التراب الوطني إلى وحدات جغرافية من أجل تسهيل تنظيم العمل العسكري، ضد قوات العدو في مختلف مناطق البلاد، وكذا تنظيم الاتصال بين مختلف هذه المناطق، وأصبحت البلاد مقسمة إلى ست ولايات[2]، وبذلك تكونت الولاية السادسة على نواة المنطقة الثالثة من الولاية الأولى، وعين على رأسها القائد علي ملاح، كقائد أول للولاية السادسة، وتمت ترقيته إلى رتبة عقيد، وصار يدعى العقيد سي الشريف[*].

توجه العقيد سي الشريف، رغم الجروح التي أصيب بها في معارك سابقة إلى الولاية، التي أسندت إليه قيادتها مع كتيبة من المجاهدين، إنطلاقا من الولاية الثالثة إلى الولاية المترامية الأطراف ذات الطبيعة الصحراوية المكشوفة وكان الأمر صعب جدا، والمهمة خطيرة للغاية، ولما استشهد عُيّن خلفًا له القائد سي الحواس، الذي كان يتولى مهمة الدفاع عن الصحراء وحمايتها من براثن الأعداء الطامعين.

---

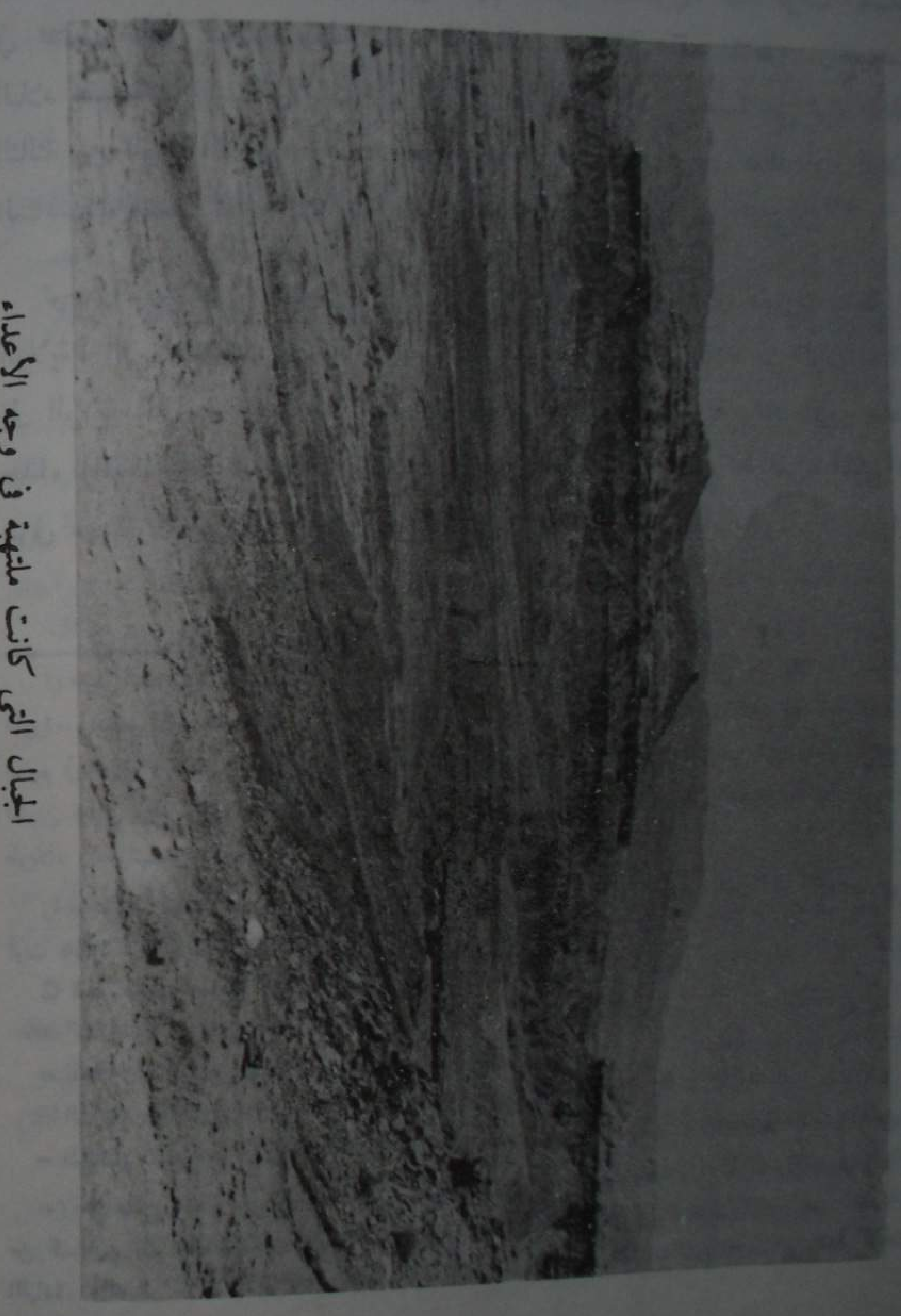
1) مؤتمر الصومام المنعقد يوم 20 أوت 1956 بوادي الصومام، كان أول مؤتمر وطني يعقد بالداخل بعد اندلاع الثورة، واستمر ثمانية عشر يوما، وقد شكل مرحلة هامة من مراحل الثورة المسلحة، وكان نقطة انطلاق وتحول عظيم في تاريخها، أسفر عن وضع أسس ثابتة لمستقبل الثورة على نظام عسكري وسياسي قوي وفعال، ونتج عنه تكوين مجلس وطني للثورة، وتأليف لجنة التنسيق والتنفيذ، وأعطى المؤتمر لجيش التحرير دما جديدا، ونفسا طويلا، واستراتيجية محكمة.

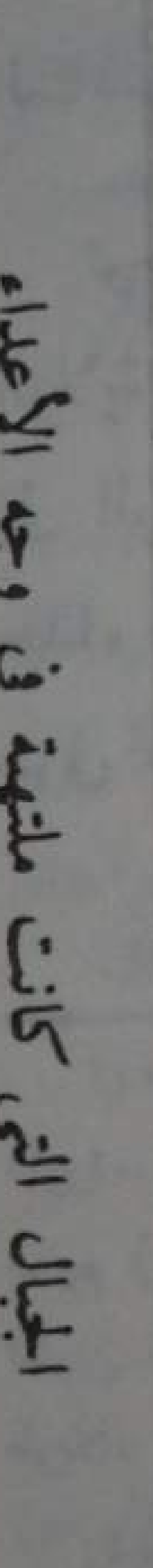
راجع وثائق مؤتمر الصومام، وأيضا: التقرير الجهوي للولاية الأولى، أحداث الثورة في الأوراس من 20 أوت 1956 - 31 ديسمبر 1958، ص 5 - 60).

2) قسم مؤتمر الصومام الوطن الى ست ولايات، وهيكلها التنظيمي كالتالي:

- الولاية: تتكون من (6) مناطق، يرأسها قائد برتبة صاغ ثاني (عقيد).
- المنطقة: تتكون من (3 - 6) نواح، يرأسها ضابط ثاني.
- الناحية: تتكون من (4) قسمات، يقودها ملازم ثاني.
- المجالس الشعبية: وتتكون من مجلس من رئيس اللجنة، أمين المال، الممون، الناشطين الدائمين المختصين.

*) علي ملاح (العقيد سي الشريف): من مواليد 1924 ببلدية وأمكيراء دائرة ذراع الميزان ولاية تيزي وزو كان من السابقين الى النضال والثورة المسلحة من مرحلة الأعداد والتحضير الى التنظيم والتحضير الى المشاركة في القيادة، والتسيير الى أن لاقى ربه، حيث سقط في ميدان الشرف والكرامة شهيدا بضواحي قصر البخاري سنة 1957.





الجبال التي كانت ملتهبة في وجه الأعداء

أدرك سي الحواس، أن المسؤولية كبيرة وجسيمة، ولكنه أصر على التضحية، وفعلا، عمد إلى توحيد أجزاء المناطق، الجنوبية والبعيدة، تحت نظام واحد ممثل في الولاية السادسة، ووحد مسؤولياتها، ونظم قاعدتها العسكرية، وثبت أركانها.

ورأى من الضروري، ربط الصحراء بالجبال، باتخاذ مركز قيادي في الجبل بالولاية الأولى، ومركز في الصحراء بالولاية السادسة، حتى يتم التنسيق، وينفذ أعماله العسكرية والسياسية، واهتدى لاتخاذ مركز في جبال الأوراس بكيمل، ومركز في الصحراء بجبل ثامر، ناحية بوسعادة.

اهتم سي الحواس بتنظيم إطارات وهياكل الولاية، وذلك بالاعتماد على التكوين السياسي والعمل الثوري لأن جيش التحرير، صار يخوض معارك ذات طابع خاص، تتطلب معلومات عسكرية مدققة، ونظاما حازما، وطاعة متينة، وهذا لا يمكن أن يتم إلا بالتدريب والصرامة والتكتيك الحربي العالي.

إن مرحلة جديدة من الحرب بدأت، فبعد مرحلة الأفواج والفرق الصغيرة والفيالق العاملة، تشكلت إطارات جبهة وجيش التحرير الوطني، فكانت الأعمال الجبارة، والبطولات النادرة من قبل جيش التحرير الذي تميز بأساليب حربية دقيقة، أثناء العمليات الكبرى، تماشيا مع المتطلبات المستجدة، وتبعا لأرضية المعركة المكشوفة، ونذكر بعض هؤلاء الحماة، حماة الصحراء في هذه المرحلة الحاسمة التي يشهد لها التاريخ بقيادة العقيد سي الحواس: عاشور سي زيان، عمر ادريس، الطيب جغلالي، محمد شعباني، حسوني رمضان، محمد روينة (غنتان)، السعيد عبادو، عمر صخري، محمد الشريف عبد السلام، السبتي وزاني، اسماعيل خليف، محمد بن عمار مزياني، إبراهيم قلوح، الهاشمي بن جديدي، الوردي قصباية، رابح تينة، قويدر غريب، العربي بعرير، محمد الصالح يحياوي، نور الدين مناني، الصالح كرميش، سي محمد الشريف خير الدين، العربي طالبي، محمد قواند، بشير الزير، مسعود قصوري، اليمين عيبيسي، محمد رشيد الصايم ، لخضر تاجموت، المبروك بلعيد، علي عيساوي، السعيد



الصورة ألتقطت في غابة كيمل، بآريس لمجاهدين من الناحية الرابعة وهم من اليمين إلى اليسار: البعيد عثماني، موسى خلاقي، سي أحمد بومعراف «شهيد» إبراهيم نجاحي، بلقاسم شاطري، عمار عثماني «شهيد»، العايش قربازي. «اعتقد أنه أصغر مجاهد في الأوراس أثناء الثورة المسلحة» وتيطاوين الجمعي «شهيد».

بوزرقون، أحمد رويجل، عمر زايدي، علي جودي ، كمال الوافي ، الصادق لحرش، إبراهيم شاطري، عبدالحميد سعيداني، لخضر خلايصي، عبد الرحمن بوزيدي، أحمد يحياوي، محمد عثماني، العربي بن اليمين، الشيخ علي جهرة، رويس قحضاب، محمد الكرمي، عمر دحماني، مسعود قصوري، الشريف عصمان، بولرباح السايب، العايش بادسي، يوسف لعمودي، لقمان أحمد بن لخضر، محمد الصغير نعامة، مخلوف بن قسيم، علي قوجيل، محمد مونس، لخضر عبيد، عبد الجبار المدني، الحاج شبشوب، الشريف قرماط، الشريف محداد، مصباح شرّاحي، خليفة واده، عبد المالك قريد (الجنة)، مسعود غمري، عمار فرطاس، مسعود قارة، عبد القادر بلالة، العربي بن الهادي فرجاني، محمد كشحة، الطيب بوصبيع، محمد الصالح الزاوي، محمد علواجي، حشاني نصرات، أحمد بن شعبان، بشير غربي، عبد العزيز بن الهاشمي الشريف، عبد الحفيظ السوفي، عريف الجيلالي (سليم) عمار أثليجت، بوزيد عبد القادر، عبد الكريم حساني، موسى صدار، حمداني إبراهيم (أوزناقة) سي الطيب فرحات زكريا، سي بوعمامة، سي بن سليمان، أحمد زرزي، محمد حكوم، محمد جغابة، محمد بن صولة، عيسى فروج، أحمد ميلودي، محمد بلحاج أميهي، بشير بن موسى، مصطفى بن خلف الله، عبد الله سلطاني، بلقاسم مسعودي، العيد لحديجي، مسعود غمري، عمر دباخ، محمد الصغير حمودي، علي خنفر، عبد الرحمن بومرزوق، أحمد بن الشارف، أحمد رميطي، سي بلقاسم حرز الله، أحمد كريش، ومعمر شبيرة، وغير هؤلاء الأبطال الميامين..

رجال الرمال

في خريف 1956 بعد أن تم تنظيم الجهة سياسيا، وعسكريا بإعداد المجاهدين للعمليات الكبيرة والطويلة التي تحتاج لكفاءة عالية من التدريب والمراس الميداني.

وجه سي الحواس، أفواج الجهاد والتحدي للتوغل في عمق الصحراء، وإحكام سيطرة الثورة على كل منفذ بها، وكان التصاعد المطرد للثورة، قد ساعد على انطلاق الأفواج والفرق، نحو أهدافها الخطيرة في عمق الجنوب حيث الرمال والأرض، التي تحتوي على الكنز الذي تطاحن عليه الغرباء لإحرازه، ولكن ما كل ما يتمناه الطامع يناله، فجيش التحرير بالمرصاد للجشعين الشرهين، الذين يُوَاجهون وِفق خطة مدروسة مرحليا ونظاميا وعسكريًا وسياسيا.

انطلقت الأفواج على بركة الله، حاملة آمال الأجيال في دفن أطماع فرنسا إلى الأبد، وهم يدركون أن الحرية غالية الثمن ولكنهم مستعدون، ليقدموا في سبيلها أعز ما يملكون، متحملين مشاق الصحراء، مناخها، حرارتها، رمالها، ولقّنوا بذلك الغزاة دروسا في الصبر والمقارعة والحرب.

حقيقة، أن أفواج ووحدات جيش التحرير واللجان الشعبية، واجهت في الصحراء صعوبات جمة، من حيث طبيعة الأرض الجرداء، التي لا يوجد فيها وسائل التستر والتخبئة والتمويه المعروفة في الحروب، وصعوبة معرفة المسالك ليلا ، ومشاق البحث عن الحواسي[1] (آبار المياه) وقلة السكان لتوجيههم نحو أهدافهم ، والمسافات البعيدة بين الواحات والرحل ، ومخاطر مجازفة السير في السباخ ، وأحيانا لا بد من مواجهة كثبان الرمال، التي تكسو معالم الطرق، ويصعب على المشاة أو الدليل معرفة المسالك

(1) الحواسي: جمع حاسي، ومعناها بئر، وهي كلمة سريانية، والسريانية لغة سامية قديمة.



مجاهدون في سبيل الله وتحرير الوطن

أو الاتجاه، دون أن ننسى الكثير من المشاق، والمخاطر ، والمهالك، كانتشار الحشرات والزواحف الضارة والمؤذية وغيرها من العراقيل والمعيقات التي يستحيل حصرها أو معرفتها.

ورغم تلك الحياة التي لا تطاق تحمل المجاهدون الصابرون كل ذلك وأكثر، غير أن ما ذُكر يعتبر في حكم الحياة العادية والطبيعية، مقارنة بالمطاردات العنيفة، والملاحقات الشرسة برًا وجوا، والمتابعات التي لا يمكن التخلص منها من طرف القوات الفرنسية المزوّدة بأحدث الأسلحة الفتاكة، والإمكانيات الكثيرة المستعملة في الكشف عن المجاهدين في البيداء.

انطلقت طلائع أفواج الجهاد والتحدي، بأمر من القائد سي الحواس، وتوجيه قائد ناحية مشونش، محمد بن المسعود بلقاسمي، ميممة صوب الجنوب، لتجعل من الفلاة المترامية الأطراف ، مقبرة كبيرة لاوهام الغزاة الطامعين ، فكان فوج البطلين عمر إدريس وسي لخضر روبني. المتكون من المغاوير الشجعان: مسعود الشرقي وعاشور محمد الشاوي، حسين شليل، عبد الحميد سعيدان، ناصر علي، عبد الله سلامي، محمد بلقاسم الجوكي، عمار بوزوّرّ (بضم الزاي والراء وتشديدهما!!) ومولود بريش.

كان أول اتصال لهم بمدينة طولقة حيث تجند معهم الأخوين: محمد بلحاج ومرزوقي ثم واصلوا زحفهم نحو اولاد جلال، حيث كان في انتظارهم البطلين محمد بلهادي وأحمد بالأكحل، وبالقرب من اولاد جلال، تم اللقاء بالمجاهد عاشور سي زيان.

لقد تمركز الأبطال في المكان المسمى بـ«فم الخرزة» واستمروا في اتصالاتهم ، وتكوين الخلايا والمجالس واللجان الشعبية وتعبئة سكان ناحية أولاد جلال، وتوسّع نشاطهم الثوري، فكانوا بجبل بوكحيل ناحية بوسعادة، حيث واصل الفوج بقيادة بطلنا عمر إدريس ، عمله في تكوين النظام بهذه الجهة ، وفي ظرف سبعة أشهر وبمساعدة المجاهد عاشور سي زيان، وأوامر القائد سي الحواس، تم تجنيد جيش يزيد عن (400) أربعمائة مجاهد، ونذكر من هؤلاء: الحاج علي إدير ، محمد بن زيد (بن صابر) رابح تينة، محمد مغربي، عبد الرحمان عبداوي، عبد المجيد بن حبة، الحاج بن

عدي، مخلوف بن قسيم ، علي الشريف ، جلول بوهالي ، لمذاوري حمة، محمد الشريف خير الدين ، محمد شنوفي ، محمد قادري ، عبد الكريم زميرلي، غنبازي الجلالي، محمد الهادي بوغزالة، عبد القادر بريك ، العربي سعدين ، الطاهر خوازم ، دين ديبة ، أحمد كرميش ، ابراهيم طواهرية ، مخلوف بن قسوم ، بشير سديرة، العربي بن الهادي فرجاني ، الصالح معاش ، الطيب فرحاتي ، الصالح ابراهيمي، سليمان سليماني (لكحل)، عيسى النوي، محمد طالبي، محمد الصغير خمخم، عمر توام، عبد القادر كشيدة، لخضر هالي سليمان عاشور، عبد الرحمن غريبة ، العربي بايزيد، عبد القادر عوينة، عبد الرحمن بن الهادي وغيرهم من الشجعان الأشاوس.

وتواصل تدفق الأفواج لإرساء دعائم الثورة، التي ستبقى بركانا غاضبا ملتهبا في وجه عملاء الحلف الأطلسي، وشذاذ الآفاق وأعداء البشرية، والحياة، فكان من أجل ذلك فوج : البطل محمد عبدلي، الذي كانت وجهته جبال الزاب، وفوج البطل حسين عبد السلام والبطل الصادق جغروري، اللذين مرّا على جبال الزاب، وواصلا زحفهما وتوغلهما في مجاهل الصحراء، حيث يمكن للعدو أن يجد موطىء قدم، وفوج البطل محمد جفابة، الذي وصل إلى غرداية، ثم واصل تقدّمه في ظروف صعبة للغاية الى تامنراست، وفوج البطل علي شريف، لعقد اتصال بالولاية الثانية عن طريق البيّض، وفوج البطلين ابراهيم جياوي ومحمد بلعيد، الذي توجه الى جهة مدوكال وضواحيها، وفوج البطل رمضان حسوني الذي يعتبر الدعم المضموم لأفواج الصحراء حتى تواصل مهامها وتحقيق أهدافها.



لقاء الأبطال

كان على القائد سي الحواس، أن يحصل على وثائق مؤتمر الصومام، فكلّف الضابط الملازم الثاني مسؤول الناحية، نورالدين مناني، بالتوجه إلى العاصمة للاتصال بالقائد محمد العربي بن مهيدي، وإحضار الوثائق.

سافر الضابط في شاحنة خضر من قرية (الجب) وبعد مغامرة طويلة، طول المسافة التي تمتد أكثر من سبعمائة كيلومتر، وصل المغوار إلى القائد محمد العربي بن مهيدي، وبلّغ له تحيات سي الحواس وطلب منه تزويده بمقررات مؤتمر الصومام، فكان له ما طلب.

عاد الضابط المسؤول ومعه الأمانة الكبيرة، وفي جبل مساعد عقد سي الحواس اجتماعا مع القائد عاشور سي زيان، دام يومين، اطلعا خلالهما على الوثائق وتمعّنا في فحواها، فاتفقا على توحيد التنظيم والجيش، حسب ما نصت عليه المقررات، وأخبرا المجاهدين بما كان في المؤتمر، وبما تم بينهما، من توحيد الولاية سياسيا وعسكريا، وبلّغا المسؤولين، أنه إذا غاب أحدهما ينوب عنه الآخر.

إثر ذلك، التحق سي زيان بجهته، وسي الحواس بوجهته، جبل معارقة، حيث وجد حشدا من المجاهدين في الترقب والانتظار، فخطب فيهم شارحا، ومفسرا التعليمات الجديدة تحت قيادة جبهة وجيش التحرير الوطني.[1]

وفي جبل زغوان، تلقى سي الحواس رسالة من العقيد عميروش يطلب منه الحضور الى الولاية الثالثة للتشاور وتوحيد عملياتها.[2]

1) من المجاهد محمد شنوفي، مجلة أول نوفمبر العدد 90-91 مرجع سابق.

2) في هذه الأثناء كانت عملية (الطير الأزرق) قد فشلت بالولاية الثالثة ومؤداها، أن السفاح المغرور «لاكوست»، كان ينتظر فيها قتل أو إلقاء القبض على القائد عميروش في جبال جرجرة، وسخّر لذلك (14) جنرالا وعشرات الآلاف من الجيوش المختلفة الأنواع والمهام في عملية رهيبة لم يسبق لها مثيل في عمليات التمشيط

وقَبِلَ مجاهدو الأوراس بسفر سي الحواس إلى ولاية القبائل ، فطلبوا منه عقد اجتماع قبل السفر، وحُدِّد المكان، قرية (فلياش) شرقي مدينة بسكرة.

انطلق سي الحواس برفقة (13) ثلاثة عشر مجاهدًا، وعرج على قرية (الحاجب) حيث عقد اجتماعا بمجاهدي الناحية، بعدها، عزم على تكملة السير الى قرية (فلياش) وإذا بالشيخ، أحمد علي الشايب، يشير عليه بأن يتريث، فاستحسن القائد رأيه، وما إن أصبح يوم الاجتماع حتى كانت أعداد كثيرة من قوات العدو تحاصر الجهة، وتقع في اشتباك غير متكافئ مع مجاهدي الأوراس، فيستشهدون عن آخرهم في وقت الموعد.

إنها المخاطر المحدقة بالأبطال، لكن كل شيء يهون في سبيل استمرار الثورة وتعميمها، وتوجه سي الحواس برفقة (25) خمسة وعشرون مجاهدًا، صوب الولاية الثالثة، فمرّوا على جبل محارقة، وجبل بوطالب، ومنه الى حمام الضلعة ناحية المسيلة، وواصلوا السير حتى كانوا في تراب الولاية المقصودة، حيث كان ملك الجبال عميروش في استقبال أسد الصحراء سي الحواس.

وفي شهر ديسمبر 1956، كانت الاجتماعات متتالية، وقد تم عرض حال الولاية السادسة والثالثة، سياسيا وعسكريا، ومدى إمكانية العمل وفق مقررات مؤتمر الصومام. وفي إحدى اللقاءات التي جمعت القائدين بقوات جرجرة الضاربة وفرق الأوراس الضاربة، أخبرا حشود المجاهدين باستشهاد القائد البطل عاشور سي زيان في يوم 08 نوفمبر 1956 م.

عاد العقيد سي الحواس، بعد أن اتفق مع العقيد عميروش، قائد الولاية الثالثة على تصيير الصحراء والجبال ، منطقة ممتدة، بلا موانع ، ولا حواجز طبيعية أو بشرية، وتوحيدها في وجه العدو الفرنسي الغاشم، وفعلا، عمد إلى إحداث هياكل

واعتقد أنه يستطيع بها تحقيق أحلامه الخبيثة وتصديق مقولته الغزلية المعروفة (ربع الساعة الأخير) لكن الثورة كانت بالمرصاد، حيث تركت الأعداء يتخبطون في مخططاتهم لتفجير الثورة، من الداخل، حتى صاروا في دائرة لا مخرج منها، حدث الانفجار القاتل بأمر من القائد المسلاتي، فقضى على كل من له يد في المؤامرة خاصة من العملاء.



البطل الشهيد
عاشور سي زيان
(1919 - 1959)

جديدة للولاية السادسة، نذكر وبقدر المستطاع الأبطال الذين حملوا مشعل الثورة في هذه المرحلة، وهم: السعيد بن شايب، العربي بعرير، الصادق شبشوب، محمد شعباني، عمر صخري، الشريف خير الدين، السعيد عبادو، محمد روينة (غنتار) السبتي وزاني، اسماعيل خليف، عمار كردودي، محمد بن عمار مزياني، إبراهيم قلوح، محمد بلهادي، أحمد بن إبراهيم، الحاج بوركن، دحمان عسوسي، الهاشمي بن جديدي، محمد هنداوي، أحمد بن إبراهيم، محمد لخضر تيطاوين، نور الدين مناني، علي قاضي، محمد السبع، حفناوي علوي، الربح لزهر، مسعود ميلودي، علي عمران، عمر شلبي، رابح طينة، قويدر غريب، أحمد حشاشني، عمر زلوف (سليم) عمار بركات، عمر زيان، مخلوف بو غضبان، ساعد بن لخضر، علي مهيدي، الدراجي لكحل، علي بن مسعود، عبد القادر ذبيح، أحمد عبدلي، إبراهيم توام الصالح دريش، الشريف دلولي، أحمد سعاده، العلمي جفال، السعيد مرغمي، المبروك زديرة، محمد بريمة، أحمد العايب، بوزيد ركيبي، ضيف الله رحال، علي زعروري، علي مهيري، العيد بن عبد الباقي، العمري عمامرة، بركات الطيب، خنفر عباس، عمار معكوف، محمد دهان، عبد الحفيظ هاني، المبروك العقبي، الوردي باشا، وصالح خالدي وآخرين من الأبطال.. .

المهمة والعبور

تواصلت عمليات جيش التحرير في الولاية السادسة، فكانت الهجومات البطولية التي كادت أن تحطم قوات فرنسا، وتقضي عليها نهائيا، خاصة بعد المرحلة الجديدة التي قطعتها الثورة في التطبيق العملي الشامل لقررات مؤتمر الصومام في جميع الميادين السياسية والعسكرية والاجتماعية، حيث قُسمت الجزائر الى ست ولايات، وحددت تحديدا تاما، وأدخلت الرتب العسكرية، وأصبح جيش التحرير منظما تنظيما حديثا، ومدربا تدريبا عسكريا متينا، فكان لهذا التنظيم الجديد صداه في الداخل والخارج، فتحددت معالم الثورة الجزائرية كثورة تحريرية شعبية عارمة شاملة لجميع الميادين.

إن فرق المجاهدين المتتابعة التي اقتحمت مجاهل الصحراء، وجدت أبناء هذه المناطق، كلهم عزم وإصرار، وتأهب على مواجهة العدو، فكانوا في طلائع الفرق والأفواج، أبطالا صناديد، لا تقف في وجوههم أشق الصعوبات وأقوى العراقيل وأعتى القوات، التي شاركت فيها كل وسائل الدمار، المتواجدة لدى الإمبريالية[1] العالمية، وقد تمكن القائد سي الحواس من مواجهة هذه القوات الهائلة، التي زجت بها فرنسا نحو الجنوب، لتحقيق مآربها الاستعمارية في استغلال البترول، الذي كان قد وعدت به الشركات الأجنبية.

وفي الأول من مارس 1957 أكد (لاكوست) بتشجيع من وزير الصحراء (ماكس لوجون)، أمام مجلس الوزراء، وتمكن من اقناعهم، بأنه سيتمكن من القضاء على الثورة في جويلية 1957 ، وطلب من أجل تحقيق ذلك (110) مليارات فرنك[2] ، لصرفها على مئات الآلاف من الأجناد ، والآلاف من الطائرات، وعدد كبير من الجنرالات والعقداء والضباط.

1) إن تاريخ مارس 1956 الذي صادق فيه الحلف الأطلسي رسميا على الدخول في الحرب، وتاريخ أفريل 1959 الذي دافعت فيه أمريكا دون خجل عن أقذر حرب تجري فوق الأرض، سيكون لنا ما بعدها إنهما تاريخان سيبقيان منقوشين في أذهاننا التي لا تنسى. مجلة المجاهد، العدد 40 ص 3.

2) لم توافق وزارة المالية على هذا المبلغ، ووقعت أزمة حادة.

كان على القائد سي الحواس أن يحكم قبضته على كل منفذ في الصحراء، فوضع كل الاحتمالات الممكنة، التي قد تؤثر على مسيرة الثورة إيجابا أو سلبا، ورأى ضرورة السفر الى الخارج لرفد الثورة بالعتاد والأموال حتى يستمر الرجال في الحرب الضروس.

وفي يوم 04 مارس 1957، عقد القائد اجتماعا ضم إطارات ومسؤولي الولاية، وأبلغهم بالمهمة الصعبة وأهدافها المنتظرة، وأعلن عن توجّهه الى تونس، وأنه عيّن خلفا له المجاهد عمر إدريس.

وفي السابع من مارس 1957، انطلق القائد بمعية عبد الباقي كمال، صوب الولاية الأولى، حيث اتصل بمسؤوليها، ودرس معهم حال الثورة عسكريا وسياسيا في الداخل والخارج، وبعد مسيرة شاقة، تخللتها المخاطر المهلكة وصل القائد وصحبه إلى تونس.

في مراكز جيش التحرير المتقدمة اجتمع مع قادة جيش التحرير، وعقد معهم جلسات عمل، وتفقد أوضاع مجاهدي الولاية الأولى والسادسة، وزودهم بتوجيهاته وتعليماته، وكانت له لقاءات واجتماعات مع بعض قادة الداخل، وأعضاء من مجالس الولايات، وتقابل مع الرئيس الحبيب بورقيبة(*)، وحضر مؤتمر تونس الصحفي في يوم 22 مارس 1957.

واجتمع مع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ[1]، ووجد أن المبدأين اللذان أقرهما مؤتمر الصومام: تقديم الداخل على الخارج في المسؤولية والرأي، وتقديم السياسي على العسكري، يعتبران المسألة الحرجة، التي تطرح بكثير من التحفظ والحذر، وعلم أنه بسبب ذلك، كان هلاك الكثير من المجاهدين في الداخل (صراع الجبهة والجيش) في الولاية الأولى، وتصفية العديد من الأبطال في الخارج.

(*) الحبيب بورقيبة ولد (1903-) بالمنستير، ويعتبر أول رئيس للجمهورية التونسية بعد الاستقلال في 20 مارس 1956 ثم أعاد الشعب انتخابه في 8 نوفمبر 1959، وبقي رئيسا ومجاهدا أكبر إلى 7 نوفمبر 1987، حيث وقّع عليه خمسة أطباء تقرير، يقول: بعجزه عن مواصلة الحكم، وخلفه زين العابدين بن علي في رئاسة تونس.

1) لجنة التنسيق والتنفيذ، تمثل هيئة الأركان الحرب العامة، ولها السلطة التامة في مراقبة المنظمات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، ومكلفة بإنشاء ومراقبة اللجان المختلفة التي يكون مركزها، الجزائر العاصمة.

نهاية المرتدين

في مطلع عام 1957 باشرت فرنسا بتنفيذ مشاريعها الإستعمارية في الصحراء، إلا أنها إصطدمت بالمجابهة العنيفة، فكان عليها، أن تجد قوة إضافية، لما دفعته في الميدان، فكان الجنرال (محمد بن لونيس)(*)، الذي أصبح قوة ضاربة، بل درع لحماية تلك الشركات التي سال لعابها، طمعًا في ثروات الجزائر.

فكانت الحركة المرتدة، التي حاولت أن تغالط الرأي العام الجزائري، بدعوة الإتفاق مع فرنسا على الإستقلال الداخلي، ولتحقيق هذا الهدف عمدت السلطات الفرنسية إلى توجيه المرتدين بقيادة «ابن لونيس» إلى المناطق الصحراوية.

قامت هذه الحركة المسلحة بأعمال إجرامية لا تغتفر، كان هدفها القضاء على الثورة، لذلك كان على القائد سي الحواس، مواجهة هذه الخطة بكل حزم وقوة لإفشالها، والقضاء عليها سياسيا وعسكريا.

وكان من نتائج مواجهة هذه الحركة أن ظهرت حقيقتها للشعب، إذ أدرك أنها تابعة لفرنسا، خاصة بعدما تأكدت اتفاقية (ابن لونيس - لاكوست) التي تهدف إلى تفجير الثورة من الداخل.

(*) محمد بن لونيس: كان عضوًا بارزًا في الحركة الوطنية الجزائرية قبل اندلاع الثورة المسلحة 1954، لكنه في غمرة الخلاف الذي نشب داخل الحركة وانقسامها إلى مركزيين وجهويين ومصاليين، اختار هو الفريق الأخير، وأصبح من أعتى أعداء الثورة التحريرية واليد الضاربة لمصالي الحاج، بالتنسيق مع العدو الفرنسي، الذي لقي منه مسوغًا لعرقلة مسيرة الثورة وضربها بأبناء الشعب المغرور بهم.

طالع: شاهد على اغتيال الثورة، مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة، دار الحكمة للترجمة والنشر، الجزائر، 1990، ص 8.

دورية عبر الجنوب

إلا أن استراتيجية قادة الولاية السادسة، نجحت في التصدي سياسيا وعسكريا للحركة، حيث هزمت قوات العميل المسلحة، في أكثر من معركة شر هزيمة، وصدت من ولايات[1] أخرى، وطوردت فلوله في فيافي الصحراء وقفارها على مرأى من القوات الفرنسية، واستسلم أفرادها زمرا مهانة إلى جيش التحرير، لذلك لجأ «ابن لونيس» إلى الانتقام والإضطهاد الأعمى، والقتل الجماعي والسلب والنهب.

توالت هزائم «ابن لونيس» وارتفع عدد القتلى والجرحى في صفوف قواته، الأمر الذي كانت تخشاه المخابرات والقوات الفرنسية، وتسعى بكل ما عندها من دعم عسكري وغيره، الحيلولة دون حدوثه، إلا أن الحركة، تصدّعت بسبب الضربات الموجهة لها من أبطال الصحراء الأشاوس، وتفككت الحلقات الهشة الى حدّ اقدام المرتد «ابن لونيس» على قتل أقرب مساعديه، وكان ذلك إيذانا بانفجار الحركة، فنشب القتال بين عناصرها، سقط خلالها عدد كبير من القتلى والجرحى، وأصبحت الحركة مشلولة، بحيث أصبحت عاجزة عن مواجهة الميدان بكل معطياته.

انتهى «لاكوست» وقادته الى الاقتناع بفشل الحركة، وأصبح هدف القوات الفرنسية هو العمل دون تمكين جيش التحرير من الأسلحة، التي زودوا بها جنرالهم المهزوم «ابن لونيس»[2] وتوجهت حملات كبيرة من معظم جهات الجزائر، ووراء البحر لإرجاع ما يمكن استرجاعه من الأسلحة المتطورة الفتاكة التي إن وقعت في أيدي جيش التحرير ستكون وبالاً محققا على فرنسا وقواتها المنهارة.

---

1) ظهرت قوة ابن لونيس بإحدى جهات الضفة الشرقية لوادي الصومام بالولاية الثالثة، قاوم العقيد عميروش بشدة فصائل تلك الفلول، وأحدث بها خسائر كبيرة، حيث هلك معظمهم في المعارك واستسلم البعض الآخر وانضم بعضهم الى صفوف الثورة.

2) في صيف 1958 التجأ ابن لونيس، الى عرش أولاد عامر في بوسعادة، وفي ظروف غامضة وقاتمة مشحونة بالارتباك والغموض لقي مصرعه في 19 جويلية 1958م.

جنرال المتمردين

أهاج فرنسا الانتصارات المتتالية لجيش التحرير، وفشل مخططاتها العديدة، خاصة تلك التي وُضعت لتكون درعا واقيا، لعمل الشركات الأجنبية في الصحراء، وأغاضها التزايد المستمر لصالح الثورة الجزائرية، وحنقت على الدول المساندة لها، ولم يكفها أن قامت بالعدوان على مصر(*)، بل قامت باستفزازات على الدول المجاورة، فكان الهجوم الغادر على ساقية سيدي يوسف(**) في 8 مارس 1958، وقررت انتقاما للثورة، اقامة منطقة محرمة على طول الحدود التونسية – الجزائرية، وتمثل ذلك في مخطط «شال»، حيث يعمد الى جمع كل القوات العسكرية الفرنسية الاحتياطية الموجودة بالجزائر، وتركيزها في مناطق الحدود، لمحاصرة فرق جيش التحرير المتواجدة على تلك الجهة، ومحاولة العثور على مستودعات السلاح والمؤونة والذخيرة، والقضاء على الأجهزة الإدارية لجبهة التحرير وفي نفس الوقت يستعمل الطيران والمدفعية لمراقبة الجهة المتاخمة للحدود ودكها بالقنابل.

إلا أن جيش التحرير، بقي سيد الموقف، ففي استطاعته، أن يواجه القوات الفرنسية عندما يريد، ويغيب عن طريقها عندما يشاء، وهذا ما جعل الجيش الفرنسي يتذمر

(*) هناك أسباب غير مباشرة للعدوان الثلاثي (الفرنسي – الصهيوني – البريطاني) على مصر في أكتوبر 1956، منها: محاولة الدول الاستعمارية، اعادة البلدان المتحررة إلى نفوذها، ومنع المساعدات العربية عن الثورة الجزائرية، أما السبب المباشر: عندما أعلن الرئيس جمال عبد الناصر، في 26 تموز/جويلية 1956 في الاسكندرية، تأميم قناة السويس، ليتمكن من مواردها تغطية بناء السد العالي.

كان الهجوم الغادر، وكانت المقاومة الباسلة خاصة في مدينة بور سعيد، وهزمت القوات المعتدية شر هزيمة، وعادت القناة لأصحابها الشرعيين، وبذلك تحررت مصر نهائيا من أي ارتباط سياسي أجنبي، للتفاصيل، راجع حياة كفاح، أحمد توفيق المدني، القسم الثاني، ص224 وما بعدها.

(**) طالع بالتفصيل، حقيقة العدوان الفرنسي اللئيم، الذي حطّم بلدة (ساقية سيدي يوسف) على الحدود التونسية – الجزائرية، ودمّرها تدميرًا على نفوس من بها من سكانها التونسيين، ومن لاذ بهم من المهاجرين والمقاتلين الجزائريين، انظر المرجع السابق، ص 366 .

ويصاب بنكسة وخيبة، وشعر أنه أصيب كذلك في شرفه العسكري، وسمعته أصبحت سيئة الصيت في المحافل الدولية بسبب سياسة حكومته[1].

من أجل ذلك، واكثر، قام الجيش بانقلاب في الجزائر في 13 ماي 1958، حيث تمكنت فرقة من عساكر المظليين باحتلال قصر الولاية العامة[2]، والبناءات الإدارية الرسمية، يومها خرج المعمرون في مظاهرات ساخطة على ما وصلت اليه حالتهم (المزرية) من تقهقر في معنويات جيش فرنسا، وفي حياة المعمرين التي أمست لا تطاق من كثرة الخوف من شبح الثورة المسلط عليهم، فأنشأو لجانا برئاسة (جاك ماسو) ونادوا بالجنرال (دوغول) ليتولى الحكم، وينقذ ما يمكن انقاذه من كرامة فرنسا المهانة الممرغة في أوحال الذل والعار.

في هذه الأثناء، تمكن الجنرال (جاك سوستيل) من الفرار الى الجزائر ليشارك في الحركة يوم 17 ماي، وأعلن ثالثهم الجنرال (سالان) تضامنه مع المتمردين، كما أن الجنرال (دوغول) أعلن، بأن الوقت قد حان لأخذ زمام الأمور، وأنه مستعد لتسلم السلطة، وتسارعت الأحداث، فأصبح الجنرال رئيسا؟!.

وأعلن الجنرال (دوغول) عن خطته التي سيطبقها في الصحراء، فكانت أولى خطواته في حاسي مسعود وحاسي الرمل وتقرت، ويبدو أنه عثر على معجزة الصحراء، وأنه قد وجد مصير فرنسا في الرمال، وأن الشعب الفرنسي سيحقق بفضل

1) تساقطت الحكومات الفرنسية تباعا، أمام زحف وضربات الثورة المسلحة فكانت:
- حكومة مانديس فرانس في 1954.
- حكومة ايدغار فور في 1955.
- حكومة غي موليه في 1956 والتي سقطت في 21 أفريل 1957
- حكومة بورجيس مونورو في ماي 1957 إلى 30 سبتمبر 1957 .
- حكومة فيليكس غايار من 15 نوفمبر 1957 الى أفريل 1958.
- حكومة فليملان التي لم تعش أكثر من شهر لغاية ماي 1958.

2) مقر اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني (حاليا).

الصحراء دورا تاريخيا، وبذلك أعلن الجنرال عن قانون البترول[1] الذي سيضع حدّا لانتظار وتردد الشركات الأجنبية في الإقدام من إيداع رؤوس أموالها، فكانت المنح والامتيازات مع تخفيض هام في الضرائب، وتعهدت الحكومة الفرنسية على أن لا ترفع نسبة الضرائب البترولية لمدة طويلة.

يبدو أن قانون البترول والامتيازات اللامشروطة في الاستثمار، دفع بشركات إيطالية، وأمريكية، وألمانية، ويابانية، نحو هذه الآمال، ومن أجل تحقيق ذلك، كانت العمليات الرهيبة الضخمة، التي تمثلت في محاولة إلقاء القبض على قادة الثورة حتى يحدث ذلك هزة نفسية عميقة، وتحطم معنويات جيش التحرير، ويتأكد العالم من (قوة فرنسا) وأخيرا فشلت عبقرية الشر بهزيمة جنرالات[2] فرنسا وتوابعهم العقداء، وعجزهم تماما في التأثير، أو القضاء على الثورة في الصحراء.

هؤلاء العسكريون، ما انفكوا يتهربون من مواجهة الواقع المرير، فيلجؤون الى التصريحات الرسمية المزيفة فيوهمون مواطنيهم بها كقولهم: بأنهم على وشك الانتصار، وأن أساليبهم، خصوصا الخطوط المكهربة على طول الحدود التونسية، والمغربية ستقضي

---

1) أهم بنود قانون البترول تتمثل في الآتي:

1 – منح امتياز لمدة خمسين سنة، تتحصل خلالها الشركات البترولية على تخفيض هام في الضرائب.

2 – ترك الحرية للشركات البترولية في أن تتنافس مع الدولة الفرنسية حول تحديد وحقوق الجانبين.

3 – في استطاعة هذه الشركات أن تتولى نقل البترول الى المكان الذي تريد بواسطة الأنابيب.

4 – إعطاء الشركات المشتغلة نصف الأرباح أي أكثر بكثير من نسبة الأرباح التي تقام على أساس اتفاقيات البترول.

5 – إذا حدث خلاف بين الشركات والسلطات العامة يتولى مجلس الدولة (أعلى منظمة قضائية) فض النزاع.

2) تبرز التباين الكبير في الجدول أدناه، بين قوات فرنسا وقوة الثورة المسلحة في مطلع 1958:

بالنسبة للعدو	بالنسبة للثورة
(60) جنرال	لا شيء
(500) عقيد	(6) عقداء
(1500) رائد	(18) رائد
أكثر من مليون عسكري فرنسي	(حوالي (20) ألف مجاهد مسلح

على الثورة، وهم بذلك يدفعون ثمنا غاليا امام شعوبهم المغرورة بهم، بل أنهم يدركون، بأن هذه المحاولات لن يكتب لها النجاح، أمام ضربات الثورة التي اشتدت.

وحدث في يوم 19 سبتمبر 1958 أن أُعلن عن ميلاد أول حكومة حرة للجمهورية الجزائرية، وجاء الاعلان رسميا، في داخل الجزائر وفي عواصم الأقطار العربية،واعترفت ست دول بالحكومة الجزائرية منذ الساعات الأولى، وهي: العراق، تونس، مصر، باكستان، اليمن، وليبيا.

وكان الاجتماع التاريخي، بين قادة الثورة بين « 1 – 12 نوفمبر» من نفس السنة، في جبل عسكر بالشمال القسنطيني بالولاية الثانية، ضم ممثلين عن الولايات، وكان هؤلاء القادة الأفذاذ:

الولاية الأولى – العقيد: الحاج لخضر.

الولاية الثانية – العقيد: حسين روابح.

الولاية الثالثة – العقيد: عميروش.

الولاية الرابعة – العقيد: محمد بوقرة.

الولاية الخامسة – لم يحضر ممثلها نظرا للحصار المطوق عليها.

الولاية السادسة – العقيد سي الحواس.

في هذا الاجتماع تم عرض حال الثورة، فكانت الآراء والمناقشات حول إمكانية التنسيق بين الولايات، لمواجهة الخطط العسكرية التي أقدم على تنفيذها، الجنرال (دوغول) وقوات الحلف الأطلسي، وتم تعيين وفد للسفر إلى تونس، وكُلّف العقيدان عميروش وسي الحواس[1]، للقيام بهذه المهمة في الخارج.

---

1) راجع، شاهد على اغتيال الثورة، الفصل الأول، قادة الداخل، يقصون ويرسلون العقيد سي الحواس إلى القيادة في الخارج، مصدر سابق، ص 7 ، وما بعدها.

موعد مع الخالدين

في مطلع 1959 دبّ اليأس والمقت في أوصال القوات المعتدية، وأشرفت على الهلاك، بعد أن تم سحق حركة «ابن لونيس» المرتد والقضاء على توابعه المأجورين، الذين تآمروا على الثورة.

وأدرك، قادة فرنسا والحلف الأطلسي، خطر قيادة الصحراء على مخططاتهم، وعرفوا قدرة وبطش جيش التحرير، فزجوا بما يملكون من قوة بشرية وقدرات مادية، ونفوذ ومكائد أصحاب الشركات الأمريكية والأوروبية، لتمرير مؤامراتهم الرامية إلى جعل جنوب الجزائر أرضا مشاعا، لكل من يمد يده لضرب الثورة، وإبادة الشعب الجزائري.

وباتت مهمة الجبهة أكبر وأشق في الداخل والخارج، ومهمات جيش التحرير أصعب وأخطر، وقد اعتمد في هذه المرحلة على مبدأ الضربات المتلاحقة، التي لا تعطي فرصة للعدو، لإعادة تكوين قواته المنهارة المندحرة في الفيافي والقفار، التي لا ترحم ولا تشفق على الغرباء والدخلاء.

إنها أمرّ وأخطر مرحلة، يمر بها أجناد أوروبا المعتدية على أرض الجزائر، فالعتاد الثقيل ينقصهم، والسلاح الخفيف لا يكفيهم، والطائرات لم تعد كالأيام الخوالي، تقوم بمئات العمليات في ظرف أسبوع واحد.

والعسكري الفرنسي، لم يعد ذلك المعتد بنفسه في صلف وعجرفة، حيث كان يظهر بطولاته،أمام النساء والشيوخ والأطفال، بل أصبح هيكلا من الإعياء والقلق والتذمر، والنقمة، على قدره البائس وحظه العاثر، وأمسى كيانه مشوبا بالهلع والخوف من ضربات جيش التحرير، وعلى شفتيه صيحة واحدة (لاكي، لاكي) أي التسريح.

لكن إرادة الرئيس الآمر (شارل دوغول) الشريرة، وغريزته، التي فُطرت على الإجرام وحب الانتقام، جعلته يعين أعتى السفاكين في حرب الصحراء، فكان المارشال (فولتان) والجنرال (قودار) والعقيد (دوكاس) ووضع تحت إمرتهم كل القوات المتواجدة في الجزائر.

وفي النصف الثاني من شهر مارس 1959 التحق العقيد عميروش بالقائد سي الحواس، قادما من الولاية الثالثة، رفقة كاتبه الخاص، آيت سعادة، وحارسه الشخصي الملازم، محمد الشريف شافعي.

كان هذا الاتصال بجبل «المهشم» بالناحية الثانية، بالقرب من طولقة من الناحية الشمالية الغربية، فانعقد اجتماع للجيش، خطب فيه العقيدان عميروش وسي الحواس، وفيه تكلم قائد الولاية السادسة الى إطارات الجيش،عن قرارات اجتماع الولاية الثانية.

ويضيف المجاهد محمد بن زيد[1] المرافق للعقيدين في عرضه لحوادث مشهودة من الكفاح المتواصل، فيقول: (ومكثنا بجبل المهشم، حوالي أسبوع، ومنه تحولنا الى جبل «ميمونة» الناحية الأولى، المنطقة الثالثة قرب وادي الشعير، حيث مكثنا حوالي أسبوع أيضا، تمت فيه عدة اتصالات مع ضباط الجيش.

وفي يوم 28 مارس مساء، أمرنا سي الحواس بالتحرك، ولم نكن ندري الى أين، وكان عددنا (38) مجاهدا، ما بين ضابط وجندي، وكان معنا المجاهد سي محمد الشريف بن عكشة، الذي أتى من الولاية الأولى رفقة عدد من الجنود.

وقد علمنا، أن مجيء العقيد عميروش الى الولاية السادسة، كان بقصد الاتجاه مع العقيد سي الحواس الى تونس عن طريق الجنوب، الذي يمر بوادي سوف، وكان من المقرر أن لا يرافقهم من الجنود الا عددا قليلا.

1) المجاهد محمد بن زيد المدعو أثناء الثورة التحريرية (بن صابر) من مواليد سنة 1939 بمدينة الجلفة، التحق بصفوف جيش التحرير في أواخر سنة 1956 بالحدود الجزائرية – الليبية، ثم بوحدات جيش التحرير بالحدود الجزائرية التونسية التي كانت بقيادة الرائد الحاج علي إيدير، اجتاز خطي موريس وشال عام 1957 في دورية بقيادة عمار (لاندوشين) أثناءها خاضت الدورية معركتين مع العدو استشهد منها (14) مجاهدا، وفي أوائل شهر مارس 1958 التحق بالولاية السادسة وأسندت له مهمة الاشراف على الفوج المكلف بحراسة العقيد سي الحواس.

لقد كانت المسافة بين المكان الذي انطلقنا منه مساء يوم 28 مارس، وبين المكان الذي أصبحنا فيه، لا تقل عن (70) كلم. وكنا خلالها ركوبا على ظهور الإبل والخيل، وذلك من جبل ميمونة إلى جبل ثامر[1] بالقرب من بوسعادة.

وفي الرابعة صباحا، بدأنا نشاهد أضواء قوافل السيارات قادمة من عدة جهات، خاصة من جهتي بسكرة والجلفة وغيرهما، لكننا لم نكن نعرف مقاصدها، عندئذ صرفنا الخيل والإبل، لنكمل المسافة مشيا على الأقدام، لكي لا ينكشف أمرنا للعدو، الا أننا أيقنا بأن العدو، يقصد الموضع الذي كنا فيه، وهو سفح الجبل، حيث كانت الطائرات تحلق على ارتفاع منخفض، حتى كشفتنا وذلك صباح يوم 29 مارس 1959، وهذا ما جعل العقيد سي الحواس يحثنا على الصعود الى ذروة الجبل، وأبى إلا أن يكون في مقدمتنا، وكان يتسلق صاعدا خطوة خطوة مع العقيد عميروش، وصار علينا لزاما أن نتبعها، بتسلق أرضية صخرية منحدرة في مجموعة تقدر بثمانية وثلاثين مجاهدا مع كامل أسلحتنا.

وبدأنا بالصعود، وكانت تواجهنا مناطق مكشوفة، لا يحدها غير ارتفاع الجبل، وفضاء أزرق، وبخطوات حثيثة، بلغنا المرتفع، حيث قمنا بعملية انتشار وتخندق سريعة.

بدأت المعركة حوالي الساعة السابعة، بتدخل الطائرات بالقصف المركز على الجبل، وبعد غارات متتالية وقصف شديد، انسحبت لتفسح المجال للمشاة، الذين تقدموا في اتجاهنا من الجانب الشرقي.

وكانت الجهة الغربية، التي لم تصلها قوات المشاة، قد تعرضت لغارات مستمرة من قبل إحدى الطائرات التي شدّدت الخناق على المجاهدين، الذين كانوا تحت قيادة البطل الرائد عمر إدريس، وكانوا يملكون قطعة جهاعية «فام -بار»[2] يستعملها الرامي المقتدر، محمد مغربي، الذي برز لها في إحدى صولاتها، ووقف أمامها مواجها ومتحديا

1) جبل ثامر: يقع بمقربة عين الملح، بالقرب من بوسعادة، ولاية المسيلة.
2) فام-بار: لفظة سلاح فعال، أمريكية الصنع.

بكل شجاعة وبطولة، ليلاحقها بنيران مدفعه، حتى تمكن منها، لتهوي مشتعلة في إحدى الشعاب، وتنفجر بمن فيها.

دقت الساعة الحادية عشر، ولم تكن الشمس كطبيعتها ساخنة، كما أن الدقائق لم تعد تمر بما يتناسب والموقف العصيب[1]، وأثناءها، هجمت فرقة من اللفيف الأجنبي على ناحية من الجبل، فتمكنت من أسر مجاهد جريح، وأخذه مباشرة الى مقر قيادة العمليات.[2]

عندئذ، وفجأة، توقف الهجوم، وتراجعت قوات العدو، كما توقفت الطائرات عن القصف، لتهدأ المعركة تماما، وتوقفت كل حركة، وتلاشى الدخان وعم الصمت الرهيب.

وما هي إلاّ دقائق حتى شاهدنا الطائرات المختلفة الأنواع، قادمة من الجهات الأربع، وأصبحت السماء امتدادا للأرض من كثرة ما يصب منها من حمم وعساكر، الذين وبمجرد أن تطأ أقدامهم الأرض، يسرعون في وضع أسلحتهم على أكتافهم، وأيديهم في أيدي بعضهم، ويتقدمون نحونا كوحوش كاسرة، وحيوانات مفترسة وغريبة، ويطلقون أصواتا منكرة، وزعقات منفرة وعواء مجنون.

ومن هول الموقف، سار كل واحد منا، يحاول أن يعيد السكينة الى الآخرين، وكان العقيدان عميروش وسي الحواس، يدوان في خندقها بكامل هيبتها الحربية، وقد اكتستها جدية صارمة، تحت وابل القنابل، والرصاص المنهمر على مسافة متفاوتة القرب منها.

1) من استراتيجية معارك جيش التحرير، القيام بالعمليات مساءا أو ليلا، لكن هذه المعركة نشبت صباحا إذن، فمها كانت المقاومة والصمود، فالطلقة الأخيرة لن تكون للمجاهدين.
2) ربما يكون هذا الأسير تحت التعذيب، قد أعطاهم معلومات عن وجود العقيدين بالجبل، وعدد الجنود المرافقين لها.

معارك ضارية وشهداء أبرار

اندفعت إلينا قوات العدو من كل حدب وصوب، لنحصد المتقدمين منهم، وقد عمدوا إلى عدم إطلاق النار، ليمسكونا أحياءً، غير عابئين بخسائرهم الجسيمة في الأرواح، وكانوا كلما سقطت منهم مجموعة، مشت فوقها مجموعة صاعدة نحونا، ولكنهم لما رأوا استحالة وصولهم إلى مواقعنا، استعملوا أسلحتهم، وكان الرصاص مصوبا نحونا بكثافة، وقد واجهناهم بنيران غزيرة، وتقهقروا عدة مرات، وصاروا يركضون هنا وهناك، دون أن يعرفوا ما ذا كان عليهم أن يفعلوا، وبعضهم يحاول أن يختفي وراء التلال والأكمات، تاركين قتلاهم، أكواما متناثرة في سفح الجبل بالمئات.

في تلك الظهيرة القائظة، كانت تحركات العدو واضحة على امتداد البصر وحول الجبل، الذي أضحى كزورق يواجهه أمواجا عاتية، ومطرا غازيا غزيرا، يهبط من السماء، ودخانا قاتما ينبعث من الأرض، وينبع من الخنادق، واحتدمت الأجواء بالطائرات القاذفة والمقنبلة والحاملة، واكتظت الأرض بالدبابات والمصفحات والناقلات، واختنقت المنطقة بأنواع الجيوش التي لا يعدها عاد، وتداخلت أصوات الآليات وأصوات الانفجارات مع بعضها، لتشكل هديرا طويلا مستمرا.

واختفت الشمس في برزخها ضحى، وصارت الأرض غير الأرض، والسماء غير السماء، وانتشر الغبار الممزوج برائحة البارود المحترق والمختلط بالصخور والرمال، وغاب بعد ذلك ضوء النهار، وتوقفت المعركة تماما، وكان كل واحد - من البقية[1] - يعتقد أنه الوحيد الذي مازال حيا، ونذكر بعض الجرحى والأسرى: محمد بن زيد[2] الذي اختفى داخل شجيرة نخرة بإحدى الشعاب الى سقوط الظلام، وأحمد بن عمار بن عكشة برتبة ملازم، وعمر إدريس وكاتبه سي زيان، والميلود سلطاني، لمبارك باكورة،

1) حسب رواية المجاهد بن حرز الله أبنك، أن قوات العدو، كانت تزحف كالجراد على المواقع، التي ثبت فيها المجاهدون مع المقيدين، وقد استشهد معظمهم، بعد أن سقط فوقهم المظليون، وانهالوا عليهم رميا بالرصاص، وضربا بأعقاب البنادق، وطعنا بالحراب المسمومة، ورفسا بالأقدام الثقيلة.

2) رواية المجاهد الجريح محمد بن زيد، نقلت وبتصرف من الكاتب في الأسلوب من مجلة أول نوفمبر العددان 91/90. مرجع سابق ص 20 - 23.

ابراهيم سانة، اسماعيل خليف، محمد الشريف شافعي، بن حرز الله انبك، بن عزة، وآيت سعادة المرافق الشخصي للعقيد الشهيد عميروش.

استشهد ملك الجبال، العقيد آيت حمودة عميروش على إثر جراح قاتلة، أصابته بها شظايا القنابل اليدوية، أثناء احتدام القتال، قاتل أثناءها بكل قواه، وأعطى فيها المثل الأعلى، للتفاني التام في سبيل الله والوطن.

لقد كان مثال التضحية السامية، فاستشهد كبطل ومجاهد، وهب حياته عن إيمان ووعي، من أجل أن تحيا الأجيال القادمة حرة عزيزة. وأضاف بذلك صفحة رائعة في تاريخ الجزائر المكافحة.

استشهد في مكان واحد، مع زميله العقيد أحمد بن عبد الرزاق حمودة سي الحواس[1] الذي نظّم مقاومة سريعة، وكبّد العدو خسائر فادحة، رغم عامل المفاجأة والتفوق الهائل في العدد والعتاد الحربي، قبل أن يستشهد على إثر جراح أصيب بها من طلقات رصاص العدو من مسافة قريبة، لقد استشهد كبطل ومجاهد، متبعا أروع السنن التي خلفها أسلافه، ودخل الى الأبد في التاريخ وفي ذاكرة الأجيال القادمة.[2]

1) للمزيد من المعلومات، راجع شهادات حية، حول جهاد واستشهاد العقيد سي الحواس، إعداد الأستاذ عبد الحميد السقاي، مجلة أول نوفمبر العددان: 91/90 مرجع سبقت الإشارة إليه ص 13 - 23.
وأيضا، شهادات حية ، حول استشهاد العقيد سي الحواس، إعداد الأستاذ حواس بري، مجلة أول نوفمبر 97/96 صفر و ربيع الأول هـ/ سبتمبر أكتوبر 1988، ص 86 - 88.

2) من كلمة التأبين على العقيدين، ألقاها بتونس، كريم بلقاسم، نائب رئيس الوزراء ووزير القوات المسلحة في الحكومة المؤقتة مجلة المجاهد، العدد 40 ، 2 أفريل 1959. ص 5.

النداء والعهد

على إثر استشهاد العقيدين، أصدرت وزارة القوات المسلحة بتونس، نداء الى جيش التحرير الوطني، هذا نصه:

(أيها المجاهدون في جيش التحرير الوطني، إن كل واحد منا يشعر بألم عظيم، لاستشهاد القائدين البطلين عميروش وسي الحواس وإخوانهم المجاهدين الأبطال، الذين كانوا بصحبتهما، وهو ألم له ما يبرره، لقد كان عميروش أمام الاستعماريين المتكالبين، وأمام كل الوسائل الهائلة التي استعملت للقضاء عليه، كان يمثل وجه الجزائر الحقيقي في جلاله وإبائه، الذي لا يعرف الضعف.

كان عميروش ذا ارادة قوية، وتنظيم محكم صبر بها ولايته مثالا يحتذى، واستطاع أن يتلاعب بأعدائه، ويجعل جنرالات فرنسيين يفشلون أكثر من مرة أمامه. كما استطاع أن يصير أجهزة الدعاية النفسية الفرنسية موضع السخرية المتكررة، كان عميروش بخصاله كقائد وكرجل وكوطني مثالا لكل جزائري.

وكان سي الحواس مثل جاره عميروش، استطاع أن يدفع ولايته في انطلاقة الى الأمام، وذلك بفضل إيمانه وشجاعته وبراعته في التنظيم، هذه الصفات التي كانت تميز شخصيته.

إن الجزائر، قد خسرت في يوم 29 مارس 1959 اثنين من أفضل أبنائها، تغمدهم الله برحمته، ولكن إذا كان، واجبنا هو أن نبكي أبطالنا، فإن واجبنا كذلك، يقضي علينا بأن نتشبع بفضائلهم ونسير على خطاهم، أي أن نفتك استقلال جزائرنا المجاهدة، أو أن نموت مثلهم أوفياء لما عاهدنا الله عليه.[1]

1) مجلة المجاهد العدد 39، 1959/4/2.

إن عميروش وسي الحواس، قد واجها قوات هائلة، وأعطيا المثل الأعلى في التضحية والاخلاص للقضية الوطنية، لقد كانا مع إخوانهم يواجهون قوات مادية عظيمة، ولكنهم لم يضعفوا في أية لحظة كانت، لأنهم كانوا يعلمون، أن موتهم أيضا سيكون مثلا أعلى لجميع مواطنيهم.

أيها الأبطال: عميروش وسي الحواس، وبقية المجاهدين، الذين سقطوا الى جانبهما، إنكم بالنسبة الينا جميعا لم تموتوا، إنكم تعيشون داخل أنفسنا كمثل عليا، إنكم تقودوننا وتضيئون لنا الطريق، إنكم من أولئك الذين نغبطهم على نهايتهم البطولية، إننا جميعا ننتظر مصيركم بشجاعة وبوعي وحزم، مهما كانت أوهام (دي لوفري) المندوب العام للحكومة الفرنسية، لأن مصيركم في الواقع يتمثل في إلتحاقكم بجيش التحرير الوطني في خطواته الأولى، ويتمثل في أنكم شاركتم مشاركة فعالة في خلق هذه المنظمة، هذا الجيش الذي استطاع بعد بضعة أشهر من تكوينه، أن ينتزع إعجاب العالم كله، وأن ينشر الرعب في صفوف الاستعماريين، وإذن، فما هو المصير الذي يتهددكم به (دي لوفري) .

أيها المجاهدون ..

إن مصيرنا، هو أن ندافع ببطولة وبشرف عن الوطن الجزائري الى آخر قطرة من دمائنا، وهو أن نضطلع في شرف واعتزاز برسالتنا المقدسة وهي تحرير الشعب، وأن مصيرنا أخيرا، هو أن نموت من أجل أن نحقق مثلنا العليا أو نموت دونها ؟ هذا هو المصير الذي ينتظركم أيها المجاهدون الأبطال، إنه مصير عظيم رفيع، وهو جدير بأن نتحمل في سبيله كل الآلام.

إن عميروش وسي الحواس، هما أمثلة لتضحية نبيلة يريد الفرنسيون تشويه ذكراها أمام العالم، لكنكم ستعرفون كيف تنتقمون لهما، وتبرهنون في الأيام القادمة للمستعمرين، بأن عميروش وسي الحواس وإخوانهم لم يسقطوا في ميدان الشرف بدون ثمن، وستبرهنون لهم بأن الجزائر ستتحرر، إنكم ستواجهون التحدي، الى الأمام في مرحلتنا الأخيرة في كفاحنا الجبار.

أنتم أيها الشهداء والأبطال، الذين تضافون الى اخوانكم في البطولة: ديدوش وابن بولعيد، وزيغود وابن مهيدي. فلتكونوا مطمئنين، إن هذه الجزائر التي دفعتم في سبيلها آخر أنفاسكم الطاهرة والتي تضرجت بدماء الأبطال والأبرياء، هذه الأرض ستعيش حرة مستقلة[1] .

هكذا كانت حياة أحمد بن عبد الرزاق حمودة العقيد الشهيد سي الحواس ورفاقه الميامين، ملحمة تاريخية بطولية، خُطّت باللهب والنار، وسطرت على روابي وبقاع وبوادي ورمال الصحراء، وقصة خالدة، تروي حياة أبطالنا الصناديد الشجعان للأجيال في ربوع وطننا الحبيب المفدى الجزائر.

انتهى بعونه تعالى

كتاب

حامي الصحراء، أحمد بن عبد الرزاق حمودة «العقيد سي الحواس»

ويليه كتاب

بطل أوراس — النمامشة « القائد عباس لغرور »

محتوى الكتاب

أحمد بن عبد الرزاق حمودة

(1923 – 1959 م)

ملاحظة

* أرجو من أعزائي المجاهدين، الواردة أسماؤهم في الكتاب، مراسلتي - إن أمكن - وتزويدي بالمعلومات والوثائق والصور، لتثبيتها في الطبعة الثانية.
* أرجو من القراء الكرام، تزويدي بملاحظاتهم واقتراحاتهم لاستدراكها في كتابتي المستقبلية.
* آمل أن أكون في مستوى الأمانة التاريخية، والله هو الموفق وبه أستعين.

- ترسل المراسلات إلى العنوان التالي:

الأستاذ محمد العيد سطمر ص. ب - 53
الإخوة خزار، باتنة (05000)
الجزائر

ولكم جزيل الشكر سلفاً

* اطلبوا الكتاب من:
- مكتبة النخلة، بداية شارع الزعاطشة *بسكرة.
- مكتبة الفرقان، مقابل مسجد الفرقان، بوعقال الثالث *باتنة.
- مكتبة يوسف مزياني، شارع أحمد بن عبد الرزاق *آريس.



الكاتب في سطور

- ولد في كيمل (آريس) في نوفمبر 1949. وحصل تعليمه الإبتدائي بمشونش (جامع آلماس) حيث حفظ ما تيسر من القرآن الكريم.
- نال الشهادة الأهلية في المعهد الإسلامي بباتنة سنة 1966.
- علّم في الفيض (بسكرة) سنة 1967 وشير (آريس) سنة 1968.
- حصل على منحة دراسية إلى الخارج عام 1969.
- درس السنة الأولى ثانوي بثانوية محمد بن أبي القاسم الثقفي بدمشق.
- درس السنة الثانية ثانوي في ثانوية الفارابي بحمص.
- نال شهادة البكالوريا في ثانوية الأعظمية للبنين ببغداد سنة 1973.
- نال شهادة الليسانس في الفلسفة العامة من جامعة بغداد سنة 1978.
- نال شهادة الماجستير (دكتوراه درجة ثالثة) في علم الاجتماع من جامعة بغداد سنة 1984 باشراف الدكتور احسان محمد الحسن.
- أستاذ علم الاجتماع ومصطلحات الهندسة المعمارية بجامعة بسكرة.